خيري رمضان

• $\frac{1}{2}$ الحكاية •

نوافذ الاشتهاء

الدار المصرية اللبنانية

نوافذ الإشتهاء

رمضان ، خيرى .
نوافذ الاستشفاء / خيرى رمضان
.ـ ط1. ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2008 .
200 ص ؛ 20 سم .
تدمك : 5 ـ 407 ـ 427 ـ 977
1 ـ القصص الاجتماعية
أ ـ العنوان 813.03

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + ـ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

رقم الإيداع : 15787 / 2008

الطبعة الأولى : محرم 1430هـ ـ يناير 2009م

نوافذ الاشتهاء

خيرى رمضان

الدار المصرية اللبنانية

المحتويات

إهداء

نتنافس فى بناء المساجد والكنائس، نتحدث طويلاً فى الأخلاق وعن الأخلاق، ومع ذلك تنتشر الخطيئة بصورة مفزعة.. تخترق حواجز البيوت التى كانت آمنة، تستغل التكنولوجيا الحديثة لتصنع من الخيانة قانونًا جديدًا، يحكم العلاقات الزوجية، ويقضى عليها بالفشل، سواء بالطلاق أو بالقتل أو بتنشئة جيل جديد ممزق، يسمع كثيرًا عن الأخلاق ولا يراها.

«نوافذ الاشتهاء» مشرعة، يمكنك الدخول إليها عبر النت أو المحمول، عبر صورة كاذبة أو كلمات معسولة، لا تبحث سوى عن أجساد عطشى أو آذان محرومة لتدنسها.

«نوافذ الاشتهاء» مشرعة، تتسع كل يوم، تبحث عن وافد جديد يعتقد أنه فى طريقه إلى السعادة، ليكتشف فى النهاية أنه عضو جديد فى نادى الجحيم، فهل يمكن أن نفكر جميعًا كيف يمكننا إغلاق هذه النوافذ؟!.

خيرى رمضان

مقدمة الناشر

لا يزال المجتمع العربى قادرًا على الإدهاش، ولا تزال قسوة الواقع وتناقضاته، بين تدّين زائف، وسيادة مفاهيم باليـة، أقـرب إلى الخرافـة منها إلى صحيح الدين، أكـبر مـن خيـال أى كاتـب أو مؤلـف، ذلـك الواقع الذى تعرض، فجأة لضربات متلاحقـة مدويِّـة، زلزلـت قيمـه وثوابته، أو ما ظننا أنه كذلك، وتمثلت هذه المتغيرات الجديدة فى مظاهر عديدة، مثل الفضائيات، وكثرة الصحف، والإنترنت، بما شـكَّل ثـورة عاتية، كانت كفيلة بإخراج مخبوء أى مجتمع، حاول التحصُّن ضد القيم الجديدة.

ذلك ما تحاول الدّار المصرية اللبنانيـة، متابعتـه ورصـده فى حينـه، إيماناً منها بأهميـة المكاشـفة والـشفافية فى معالجـة مـشكلات المجتمـع العربى، التى تتبدى أكثر وضوحاً فى باب (بريد الجمعة) الـذى يحـرره الصحفى والإعلامى "خيرى رمضان"، فيكاد يكون هـذا البـاب هـو المتنفَّس الوحيـد فى الـصحافة العربيـة، الـذى يتعامـل مـع مـشكلات مجتمعه بصراحة نادرة، لا يجِّملها، أو يفرط فى تشويهها، ولا يدفن رأسه

فى الرمال متجاهلاً واقعه، وكأنه الجراح الماهر الذى يضع يده على مواطن الدّاء، ويعرِّضه للشمس والهواء حتى لا تفسد بقية الجسد.

ولأن (بريد الجمعة) خلق قارئه، منذ فترة مبكرة، وينشر بالتزّامن فى أغلب الصحف العربية، تكتسب المشكلات المنشورة بعدًا حيويًّا، يشير إلى أهمية الانتباه إلى ما يجرى فى أعماق المجتمع العربى، ويحث القائمين على سياساته لأن يكونوا فى حجم المتغيرات، وحجم الحريات التى أتيحت، والتى بسببها لم يعد شيء محجوبًا عن النشر أو المعرفة من خلال الوسائط المتعددة.

وربما كان قدر "خيرى رمضان"، أنه تسلَّم مسئولية بريد الجمعة؛ فى ظرف مصرى وعربى شديد الاضطراب، استجدت عليه حريّات واسعة، ومتناقضات أكثرا اتساعًا، فضلاً عن أنه جاء خلفاً لكاتب كبير هو المرحوم عبدالوهاب مطاوع، الذى ربط القرّاء العرب على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، بأهرام الجمعة وعلى الأخص باب البريد، بحسه الإنسانى الرفيع. كل ذلك جعل من باب البريد مسئولية ضخمة، قام بعبئها خيرى رمضان خير قيام، متسلِّحًا بثقافات متنوعة عمقًا واتساعًا، وبهدوء نادر، أدرك مأزقه، فشحذ كل طاقاته، ليكتسب البريد على يديه بريقًا جديدًا وليقتحم غمار مجتمعه بجرأة، أثارت حوله الكثير من المعارك، فكان خير خلفٍ، لخير سلف.

نحن إذن، أمام مثلث متساوى الأضلاع؛ مجتمع تفجرت مشاكله وكثرت، وباب فى جريدة كبرى يشرف عليه كاتب جرئ، ينشر ويحلل، يتعاطف ويقسو، لكنه فى كل الحالات يتسم بالموضوعيّة ولاينحاز لطرف على حساب آخر، خالقًا حوارًا خلاّقًا حول ما ينشر من قضايا، لدرجة أن بعض الشباب فى الأقطار العربية أقاموا حوالى عشرين موقعًا على الإنترنت، يتداولون فيها المشكلات المنشورة، ويعرضون حلولهم، محاولين تلمس واقع مجتمهم برؤى أكثر شبابية وعصرية، وهنا يأتى دورنا، فى الدار المصرية اللبنانية، لنقل الرسالة من حدث أسبوعى قد تطويه الأيام، إلى ركيزة دائمة فى يد القراء للاطلاع على ما يعتور واقعهم ومجتمعهم من مشكلات، ليستفيدوا منها، محتذين الإيجابى فيها، ومستوعبين للدروس السلبية للمآسى لكى يتجنبوها، لأن النفس الإنسانية فى النهاية، واحدة، كما قال فيكتور هوجو، والسعادة فى الأخير، موقف يمكن خلقه وإنشاؤه، وذلك هدف الدّار الأساسى من إتاحة هذه المشكلات أمام القرآء.

قبل أن تقرأ

نصف الحكاية

عندما تضيق بنا الدنيا، وحين تفتح لنا نافذة ضوء، نئن أو نعترف، نحكي دائمًا نصف الحكاية، لأن النصف الآخر يكون لدى آخرين، غابوا أو غيبناهم. وظل هذا الباب "بريد الجمعة" لسنوات طوال يعرض حكاياتكم، أو بمعنى أدق نصف الحكاية، وكان الكاتب الكبير الراحل عبدالوهاب مطاوع بعبقرية وبساطة وخبرة يكمل النصف الآخر، ثم يكون حكماً عدلاً بين النصفين، أو بين الحكاية مكتملة وبين الحياة حين تقسو، أو تفاجئنا بما يسرت له.

واليوم إذ أبدأ معكم مواصلة مشوار ورحلة الكاتب الجميل الأستاذ عبدالوهاب مطاوع أجد نفسى فى موقف صعب، فكيف للتلميذ أن يخلف الأستاذ، ولكنها الأقدار التى تضعنا فيها لم نتمن، ولكننا نقبل صاغرين، على أمل أن نسير على الدرب متلمسين خطى من مهدوا لنا الطريق وغرسوا فيه أشجار الأمل والبهجة.

خيرى رمضان

عائد إلى الحياة

من يكتب إليك ياسيدى الآن رجل على أعتاب الأربعين، قضيت نصف عمرى خلف الأسوار، لجريمة ارتكبتها فى لحظة ضعف تحت تأثير تعاطى المخدرات، وقضيت النصف الثانى أشحن نفسى بالأمل، أعرف أننى أخطأت وأجرمت فى حق نفسى والآخرين، أعرف وأبيت كل ليلة باكيًا داعيًا الله أن يقبل توبتى، ويعيننى على الصبر والثبات.

لعلك تتساءل: وما الذى دفعك إلى الكتابة إلى بريد الجمعة بعد 20 عامًا؟ فأقول لك: إننى كنت متابعًا لكل ما ينشره مبتدع البريد الإنسانى المرحوم عبدالوهاب مطاوع، وظننت أنه توقف بعد رحيله، ثم بالمصادفة وقعت عينى على عدد رأيت فيه رسائل مملوءة بالهموم، وردودا مملوءة بالأمل، فصممت على أن أبوح لك بقصتى:

لقد دخلت السجن عام 1984 وكان عمرى يومئذ 19 عامًا، كنت منساقًا لأصدقاء السوء. فى غيبوبة الشباب والطيش وعدم حساب لأى شىء ارتكبنا جريمتنا ونالت منا عدالة القضاء، وربما لأنى لم أستطع توكيل محام مشهور وذى خبرة، حكم على بالأشغال الشاقة

المؤبدة، بينما حكم على زملائى، الذين استطاعوا الدفاع عن أنفسهم بواسطة مجموعة محامين أقوياء، بمدد تتراوح بين خمس وسبع سنوات فقط.، لست متذمرًا ـ أقسم لك ـ بل وراض بقضاء الله وحكمه، ولعله يكون مكفرًا عما اقترفته يداى، ومع ذلك فقد عانيت ساعة الحكم، وظللت فى شبه غيبوبة لعدة سنوات، أشعر بالضياع فى عالم ضيق، أتيته طوعًا من عالم فسيح لم أعرف قيمته إلاّ بعد أن فقدته، بعد هذه السنوات التى ترنحت فيها هدانى الله إلى التفكير السليم لقضاء الوقت فيما يجب، لاح لى الأمل من خلال استكمال الدراسة وتحصيل العلم.كرست وقتى وجهدى للدراسة والعبادة حتى حصلت أولاً على دبلوم صنايع قسم كهرباء من المدرسة الصناعية الملحقة بسجن القناطر عام1994 بمجموع83٪، وكم كانت فرحتى بنجاحى هذه المرة، واعتبرتها بشارة من الله بإكمال الطريق السوى، قمت عندئذ بتغيير مسار دراستى، وحصلت على الثانوية العامة ـ أدبى من لجنة ليمان طرة منازل عام1998 بمجموع87٪ وشجعتنى إدارة السجن أيما تشجيع، فانتسبت إلى كلية الآداب جامعة الزقازيق وحصلت على ليسانس الأداب قسم التاريخ عام2003 بتقدير عام جيد، ثم انتسبت للمعهد الآسيوى للدراسات العليا بالزقازيق للحصول على دبلومة الماجستير وحاليا أعد نفسى لنيلها، لن أصف لك مدى فرحتى لأنى انتصرت على الظلمة بداخلى والسجن المحيط بى، ولن أصف لك شعورى وأنا

أتخيل اليوم الذى يأتى، لأعانق فيه الحرية خارج أسوار السجن، وأبدأ من جديد وعمرى40 عامًا، رجلاً ناضجاً قد كفر عما ارتكبه، وأعطاه المجتمع فرصة أخرى لإثبات كونه رجلاً صالحًا. لقد قضيت ياسيدي21 عامًا فى السجن، وكلى أمل فى الإفراج الشرطى عنى، كأحد المستحقين له بعد قضاء أكثر من20 عامًا طبقا للمادة52 من قانون السجون، لكن الأمر لله من قبل ومن بعد، لعل للجان الأمنية التى تمر على السجون مرة كل شهر لتفعيل الإفراج الشرطى رأياً آخر، ولا ألوم فى النهاية إلاّ نفسى.

لقد تم عرضى على إحدى هذه اللجان بسجن قنا بتاريخ22 أغسطس السابق، وأبدت إعجابها بالشهادات التى نلتها ومع ذلك لا أعرف السبب فى رفض الإفراج عنِّى، لقد تظلمت ورفع ملفى للعرض على لجنة أمنية عليا بالأمن العام بالقاهرة، ولكنها للأسف أيدت رفض اللجنة الأولى، مع عبارة يتم عرضه مرة أخرى بعد عام من تاريخه.

إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، وأنا أعترف بأننى أنا من ظلمت نفسى، وعلىَّ الرضاء بحكم الله فىَّ، لكن هذا لا يمنع أن أطمح فى مناشدة السيد اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية، الرجل الإنسان كى يمنحنى الإفراج

الشرطى، بعد مضى كل هذه السنوات بالسجن، فأعود للحياة من جديد لأكمل دراساتى وأعمل عملاً شريفًا أرد للمجتمع به دينه فى عنقى حين أخطأت قبل20 عامًا.

النزيل محمد أشرف حمدى طه العطار

سجن قنا العمومي

***

سيدى : نشرت رسالتك ليس من أجل مناشدة وزير الداخلية فقط، وهذا من حقك، ولكن لأنى رأيت فيها دروسًا عديدة، فكثيرون ممن يتعاطون المخدرات من شبابنا، لايرون ما قد يؤول إليه مستقبلهم، تغريهم المتع المؤقتة، ويتشبثون بسعادة زائلة، ثم ينجرفون دون وعى، وتحت تأثير المخدر، بخطى مسرعة نحو الجريمة، ليقضوا أجمل سنوات عمرهم خلف القضبان، وعلى الرغم من إحساسك بأنك لم تحصل على دفاع كاف مثل زملائك، وقضى عليك بالسجن المؤبد فى جريمة لم تذكرها، فإنك ندمت على جريمتك، ولم تقف عاجزًا مثل كثيرين يتمتعون بحريتهم ولا يستطيعون النجاح، أو تحدى الصعاب التى تواجههم، فيلعنون الظروف التى لاتمنحهم ما يستحقون.

وها أنا يا سيدى أضع رسالتك بين يدى السيد حبيب العادلى وزير الداخلية، الذى لايبخل بإدخال السعادة على قلب أسرة بالسماح لسجينها بزيارتها للإطمئنان على أم مريضة، أو المشاركة فى وداع أب راحل، ولا أعتقد أنه سيضن عليك بقرار الإفراج إذا لم يكن مخالفًا للقانون، ليمنحك فرصة جديدة للتصالح مع الحياة، ساعيًا للتكفير عن جريمتك، بالبحث عن عمل يلائم مادرست، مواصلا بإذن الله دراستك، حتى تكون قدوة لمن يعيشون خلف الأسوار، التى دخلوا إليها بجرائمهم، أولأولئك الذين سجنوا أنفسهم فى زنازين العجز وهم لايعرفون ولا يقدرون قيمة الحرية التى ينعمون بها.

رائحة الموت

سيدى.. استوقفتنى قصة الشاب الهارب إلى الحياة، والذى هرب من قسوة الأيام إلى التطرف، ثم عاد مرة أخرى، ليسقط فى منطقة لايعرف هل هى الحياة أو الموت، أسئلته لك، ولنفسه، بحثًا عن ذاته الضائعة، جسدت لى مأساتى، على الرغم من أننى وجه آخر للضياع، فأنا شاب فى الثلاثين من عمرى، قبل 12 عامًا جرفنى الأصدقاء إلى عالم المخدرات، كنت صغيرًا، تائهًا، يمنحنى الأهل ثقتهم، بحجة أننى كبرت ولاخوف علىَّ. بدأت المسألة بالأدوية، كانت موضة، نذهب إلى الصيدليات لنشترى الحبوب الممنوعة من معدومى الضمير، البداية لعب وتقليد حتى أصبحت إدمانًا.. يوميًا نجمع ما معنا من نقود، ولأن الطلب كبير، ارتفعت الأسعار، وكنت أنفق يوميًّا مايقارب مائتى جنيه، ولأننا من أسر متوسطة، لم يكن أمامنا إلاَّ بيع كل ما نملك، ثم بدأنا فى سرقة عائلاتنا، وبالطبع انفضح أمرنا، بعد أن ظهرت علينا علامات الإدمان، ولكن أهلى تكتموا الأمر خوفًا من

الفضيحة أمام الجيران والأصدقاء، استمرت الحياة على ماهى عليه، يوم سرقة، ويوم بيع، حتى دخلت الجيش، وكانت فرصة رائعة لنا جميعًا حتى نتوقف عن الإدمان إجباريًّا، وبدأ بعض أصدقائى يتجه إلى التدين، والبعض الآخر ارتبط بالخطبة، أما أنا فاتجهت الى التجارة، وساعدنى أهلى على ذلك، وتحولت الحياة إلى الأفضل، ونجحت فى استعادة احترام الناس لى، ولكن لم يدم الأمر طويلاً.، لم يكن لدى مبدأ أحافظ عليه، طاقة هائلة لاأعرف كيف استثمرها، وكما بدأ إدمانى بالأصدقاء، عدت إليه أيضًا بالأصدقاء ولكن هذه المرة إدمان مختلف.

فى بداية عام2003 عرفنا البودرة، أو «البيسة» كما يطلق عليها الشباب، كان يبيعها لنا عرب السويس وسيناء، فى مدقات على طريق الاسماعيلية فى منطقة التل الكبير، زحام شديد من شباب، ونساء، ورجال محترمين، وكأننا على باب نادى يوم الخميس. ناس تبيع أجهزة تليفزيون، موبايلات، ساعات، ملابس وبطاطين، وتجار الصنف يقبلون أى شيء.، أقسم لك لا أكذب فى أى كلمة أكتبها لك، فأنا لا أريد إلاّ الاعتراف بكل ماحدث لعلك تنجح فى مساعدتى.ذاع صيت المكان، فانتشرت لجان التفتيش فى الطريق، لكن كان دائمًا هناك طريق نستطيع المرور منه دون تفتيش، سياسة مين حطها وليه؟ الله أعلم. وبناء على رغبة الجماهير، اقترب العرب حتى وصلوا إلى أول طريق السويس يعنى5 دقائق من مدينة نصر، طبعًا اللجان فى الطريق

تفتش على أذرعة الشباب، ولكن التجار فى أماكنهم.، لايوجد شيء قذر يمكن أن تتخيله لم نفعله، البنات كانت تبيع أجسادها، ونحن نسرق كل شيء أمامنا، فى البيت أو فى الشارع، ومثل أى أحد أدمن الهيروين، خصوصًا المغشوش، بدأنا فى الانهيار، بعضنا مات أمام عيوننا، والبعض الآخر أدخله أهله المستشفى للعلاج، ثم خرج أكثر إدمانا، وهذا ما أصابنا باليأس ولم يحرضنا على السعى للعلاج، وإن كانت رغبة كل منا هى الهروب من هذا المستنقع، ولكن تجار الصنف كانوا كلما ابتعدنا طاردونا بخفض الأسعار، استمرت حياتى هكذا حتى مات صديقى من الإدمان أمام عينى، فاتخذت قرارى بالتوقف نهائيًّا، حبست نفسى فى بيتى، كنت أموت فى اليوم مليون مرة من أعراض الانسحاب، وأصبت باكتئاب شديد، كلما تذكرت ديونى وما سببته لأهلى، وكلما نظرت إلى نفسى فى المرآة شعرت بأنى شفيت فخرجت إلى الحياة، ولكن بلا أصحاب، فكرت أن أكون إيجابيًّا، فذهبت الى رئيس مباحث إحدى المدن الجديدة على حدود القاهرة واصطحبته معى إلى أحد المدقات، ولكنه خشى ومن معه الدخول إلى المنطقة المظلمة، وأوسعونى ضربًا، واتهمونى بأنى مدمن، وأبلغت لأنى على خلاف مع التاجر، فعدت حزينًا لأتصل بأحد أصدقائى المدمنين، وعدت مرة أخرى إلى الطريق نفسه، طريق الموت، فكرت فى الانتحار ولكن مازال لدى أمل فى النجاة، أنا الآن فى حجرتى وحدى، أغلقت على نفسى الأبواب مرة أخرى، أتمنى أن أعيش حياة طبيعية،

نحن أولاد ناس، ممكن يطلع مننا حاجات حلوة كثيرة، ولكن تهنا ولم نجد من يمد يده لينقذنا.. نفسى أعود إلى الحياة وأحس أن هناك من يريدنا، يعطف علينا ويحبنا، ويؤكد أن لنا قيمة، هل يمكن أن يحدث هذا؟ أم نستسلم لما وصلنا إليه حتى يرحمنا الله ويتوفانا؟ وإن كنت أتمنى ألاّ أموت وأنا على هذه الحال، لأنى أخشى من عذابه الشديد.

* * *

عزيزى : نعم أنت الوجه الآخر لصاحب رسالة هارب إلى الحياة، هو ذهب إلى الموت عن طريق جماعة متطرفة دعته إلى قتل المجتمع الذى كفرته وأنت كفرت بالحياة فهربت إلى الموت بتطرف آخر، أنت مثله تمامًا، لم تفهم وتعى معنى وجودك فى الحياة وأهميته لك وللآخرين.

لقد اخترت طريق الإدمان وأنت صغير السن، فابن الـ 18 لم يصطدم بعد بالحياة، لم تقس عليه الأيام ولم تصبه باليأس، لأنه فشل فى العثور على عمل أو شقة. المسئولية الكبرى تقع فى مثل هذه السن على الآباء والأمهات، فوالداك أهملا فى تربيتك بزعم أنك كبرت، وهذا خطأ كبير، لأن هذا العمر أولى بالرعاية والاهتمام.. كثير من الآباء يهملون أبناءهم منذ الصغر، فلا يدفعونهم إلى ممارسة الرياضة أو يشركونهم فى أنشطة ثقافية أو اجتماعية - وهذا ليس كلامًا إنشائيًّا - لاستيعاب طاقاتهم المتفجرة وأفكارهم المتمردة، هذا الطريق هو الذى يحمى الأبناء ويضعهم فى دائرة أصدقاء آمنين، ولكن إطلاق الأبناء فى

الشارع وعدم مراقبة تصرفاتهم وعلاقاتهم، هـى التـى تـؤدى إلى مثـل ما وصلت إليه، ولأن اللوم الآن لن يفيد فى شىء، فإنك تـضع يـديك على باب الخروج، باب الفرار مـن الجحـيم، لقـد نجحـت بنفـسك فى العلاج، ولكنك عدت إلى الطريق نفسه، وها أنت تغلق عليك بابـك، اعتمـد عـلى عزيمتـك ويمكننـى مـساعدتك بإدخالـك مستـشفى متخصص لعلاج الإدمان، المهم أن تكون عازم النية على العـودة سـالمًا إلى الحيـاة، كـما أن وزارة الداخليـة تـولى مكافحـة المخـدرات اهتمامًـا خاصًا، وتطارد تجار الموت فى كل مكان، وليس تـصرف خـاطىء مـن ضابط شرطه دافعًا لليأس، يمكنك أن تلعب دورًا كبيرًا فى حماية غيرك مـن الـشباب، لـو اتـصلت بـى أو أرسـلت لى تفـصيليا أمـاكن تجـار المخدرات الذين كنت تتردد عليهم أنت وأصدقاؤك.

عزيزى: مرة أخرى الحياة تستحق أن تعيشها، مازلت صغيرًا فى السن، واصل عزمك على الشفاء، وثق بمقدرتك على العمل وسداد ديونك، وبعدها يمكنك تكوين أسرة سليمة وتتلافى فى أبنائك كل الأخطاء التى ارتكبتها وارتكبها أهلك معك، اطرد رائحة الموت التى تحاصرك، واستنشق ياعزيزى عبير الحياة. ولا أعتقد أنى فى حاجة إلى تأكيد دور الحكومة فى رعاية مثل هذه الحالات، لأنها فى الواقع ضحية لقصور وإهمال فى استيعاب الشباب وتوجيههم، ومقاومة غزوهم من تجار الموت الذين انتشروا واستغلوا نقاط الضعف فى المجتمع، لقتل المستقبل قبل أن يقوى عوده.. وإلى لقاء بإذن الله.

سيدة القصر

أنا سيدة من إحدى المحافظات الساحلية فى العقد الثالث من العمر، ومن أسرة محترمة ربتنى فأحسنت - ولله الحمد- تربيتى، تخرجت فى كلية الآداب قسم فلسفة، وكنت أحافظ مع زملائى على الحدود الواجبة بين الزملاء، حتى لا أعكر صفو أسرتى بقصة حب قد تنجح وقد تفشل، فضَّلت الحياة الهادئة المستقرة بلا مغامرات، البحر فى بلدى هو صديقى الوحيد المخلص الصادق الصدوق، كلما مرت علىَّ مشكلة ذهبت إليه جلست على شاطئه أبثه شجونى، فيرد علىَّ موجه بحكمة أخرج بها ونفسى مطمئنة. تقدم إلى محاسب به كل مواصفات الزوج المناسب لفتاة مثلى.. فهو من عائلة محترمة وميسور الحال، وتم تعيينه بعد تخرجه مباشرة فى بنك استثمارى شهير، وباركت العائلتان الزواج، وقضينا وقتًا أثبت لى من فرط السعادة أننى كنت على حق فى إدخار طاقة الحب عندى لزوجى، لا لأى علاقات أو مغامرات، كان رأيه دائمًا أننى سيدة القصر، وهو الفارس النبيل الذى عليه تأمين حياتى، ولذلك فضلت ألاّ أعمل وأتفرغ له وللقصر

وللأولاد، ورزقنى الله بولد ثم بنت، ومضت حياتنا بشكل مثالى، عائلة صغيرة مستقرة لاتحتاج شيئًا أبدًا، خصوصًا أننى وزوجى نحمل صفات القناعة، ولانتطلع لما فى أيدى الآخرين، ستسألنى وما المشكلة إذن؟ المشكلة يا سيدى بدأت قبل ثلاث سنوات عندما تعرف زوجى إلى شلة من أنصاف الفنانين، بعدما قربه منهم صاحب شركة كان عميلاً فى البنك عند زوجى.، شلة من أنصاف كل شىء أنصاف الفشلة، وأنصاف الرجال وأنصاف الآدميين، بدأ زوجى يفضل النوم بعد الظهر، ثم الخروج للسهر حتى الفجر ثم العودة منهكًا، وبرائحة غريبة لم أكن أعرف مصدرها، حتى اتضحت لى المصيبة لقد وجد زوجى طريقًا لشرب المكيفات، وكأنه وجد ما كان يبحث عنه طوال حياته، فجأة وبدون مقدمات أصبح شخصًا آخر، تغير فى كل شىء، فى البداية ظننتها نزوة تغيير لنمط حياته وستعبر، لكنه استمر وبدأ يهجرنى ويعاملنى أنا وطفليه بقسوة لم تكن فيه، لايتحمل بكاء الصغيرة إن بكت ليلاً، ولا يتحمل حتى مجرد الحديث بعقل معى، غضبت كثيرًا إلى بيت والدى وكتمت سره، وكان يعود ليأخذنى، وفى كل مرة يعد بأنه لن يسهر مع شلة أنصاف الآدميين هؤلاء، ولن يشرب حتى السيجارة ووو، ثم يعود لطريقه الأسود مرة أخرى، وأنا صابرة أتحمل وأحتسب صبرى، وتحملى عند الله،ولكن غيرى لم يتحمل ولم يصبر عليه، فقد ضاق به رؤساؤه فى العمل وبعد إنذارات وتقارير

تشير إلى تدهور مستواه، فصل من العمل، فارتمى فى أحضان الشلة أكثر، وبدأ يبيع أثاث البيت لينفق على إدمانه، وتطور إدمانه من صنف إلى صنف، كنت أرى بقايا شرائط البرشام، ثم قطعًا بنية وحبوبًا فى حجم حبات العدس أبوجبة، ثم حقنا وأخيرًا المسحوق الملعون الأبيض الذى أفقده صوابه تمامًا، فضربنى وضرب ابنه وشاط مشاية البنت وهى تحبو بداخلها، وكلما فكرت فى تركه نهائيًا والاستقرار فى بيت أبى، ما ألبث أن أشفق عليه وعلى أولاد بلا أب، فأعود وكلى أمل فى علاجه وانصلاح حاله، جربت كل الطرق التى تتخيلها لإنقاذه، وفشلت، جربت الطب البديل وجربت السفر معه، وجربت جلسات الشيوخ وأهل العلم معه، لكن بلا فائدة. المصيبة الأكبر أنه بدأ يستضيف شلة الفساد فى شقتنا ليوفروا فى النفقات، ويكونوا على راحتهم أكثر.. بيتى أصبح وكرًا لهؤلاء الفاسدين المفسدين، وأصبحت أحبس نفسى مع طفلى فى غرفة النوم، وأنا أبكى حالى، فإذا ما تصادف وخرجت للمطبخ أو للحمام، وكان أحدهم فى طريقى، قرأت فى عينه نظرات الجوع ورغبات التهام ما يحسبونه رخيصًا، فأنا لست فى نظرهم فى عصمة رجل، بل بقايا رجل، غائب عن الوعى معظم الوقت، بل أظنه لا يمانع فى التنازل عن كرامته وكرامتى، من أجل شمة أو تذكرة كما يقولون. بالأمس فقط سمعت طرقات على غرفة النوم بقوة. أعرف أنه يفعل هذا عندما يريد منّى شيئًا.. فتحت فوجدت البرنس بتاعهم

أمامى.. عرفت مايريد صرخت على زوجى ليأتى فلم يرد، أصبت بهستيريا ظللت أصرخ حتى طرق باب شقتنا الجيران، وهددوهم بإبلاغ البوليس فانصرفوا، وأنا الآن لا أعرف ما الذى جنيته فى حياتى ليحدث لى كل هذا؟ لقد صبرت لأتزوج رجلاً صالحًا، ادخرت له كل عواطفى ثم صبرت على بطالته، وعلى إدمانه وكنت أصبِّر نفسى بنفسى، فأتذكر كيف كان رجلاً شهمًا رقيقًا طموحًا وأبًا مثاليًا لأعود للصبر من جديد، لكن فاض بى الكيل ولا أعرف هل يطلب منى إنسان أى إنسان أن أصبر أكثر، أم أنت معى فى خروجى بالطفلين، أفر من الجحيم الذى أعيشه وأتركه فى لهيبه حتى يحترق تمامًا فى الطريق الذى اختاره، ماذا أفعل؟ وهل أخطأت فى شىء، هل قصرت فى شىء؟!

***

سيدتى : لا أفهم كيف يتحول إنسان ناجح فى عمله، سعيد فى حياته العائلية، فجأة ودون مقدمات، إلى إنسان مدمن فاشل مثلما حدث لزوجك؟ فالبعض يختار طريق الإدمان عندما يصادفه الفشل فى حياته العملية أو العائلية، ولا يجد حوله إلاّ أنصاف الفاشلين، ولكن ما الذى جعل زوجك يختار هذا الطريق؟ نعم الشلة قد تخدع بعض ضعفاء النفوس، وتصورهم أن السعادة الحقيقية تختبيء فى

المخدر أو فى الهيروين، ولكن لن يتمكنوا من ذلك إلاّ إذا عرفوا نقطة ضعف الضحية.

سيدتى:أقدر الجهد الذى بذلته مع زوجك، وتضحيتك وتحملك من أجل إنقاذه، وفى الوقت نفسه لا أستطيع إعفاءك تمامًا مما وصل إليه، فكما قلت كانت حياتكما مثالية، كيف ضاعت هذه الحياة وكم من الوقت استغرقت؟ ماذا فعلت عندما لاحظت بدايات التغير على زوجك؟ ولماذا لم تستعينى بالأهل أو بالأصدقاء للتدخل منذ البداية؟ إن المسافة كانت طويلة بين سهر زوجك المفاجيء المتكرر حتى وصوله إلى مقبرة الهيروين. وكان يمكنك بشكل أو بآخر إنقاذه وإنقاذ القصر من الإنهيار، ولكن تبدو بعض التفاصيل مختبئة بين السطور. على كلٍ، الآن أنصحك وفورًا بعدم الاستمرار معه فى البيت، لأن هذه الطريقة لن تجدى، وستعرضك أنت وابنيك لكوارث، فعلاج مدمن الهيروين، لن يكون إلا بدخوله مستشفى لعلاج الإدمان، وإبعاده عن هؤلاء الفاسدين، لأن المدمن يقتل ويسرق ويبيع أقرب الناس من أجل شمة أو حقنة، إذا كان لديك الإمكانيات المادية، فلا تتأخرى لحظة واتصلى بأى مستشفى متخصص، وحتى يحدث ذلك انتقلى للإقامة مع أسرتك أو فى أى مكان آخر، ولا تذهبى إليه بمفردك، وإذا كانت الإمكانيات لا تسعفك، فأرجو الاتصال بى لعلِّى أستطيع مساعدتك فى ذلك.. أعانك الله وحفظك.

منتصف الطريق

أنا يا سيدى سيدة فى منتصف العقد الثالث من العمر، ويقول عنى كل من يرانى إننى جميلة، والحمد لله أبى طيب وأمى خريجة إحدى الكليات العملية. كذلك لى أخ وأخت كنا نعيش خارج مصر حتى أنهيت دراستى الإعدادية، ودخلت المرحلة الثانوية هنا، وبعدها تخرجت فى إحدى الكليات النظرية، وعندما جئت إلى مصر لم أكن أعرف أحدًا فيها، ما عدا بعض الأقارب.. عذرًا لهذه المقدمة الطويلة ولكن لتعرف منها حالى، عمومًا، لن أطيل عليك.. تزوجت منذ ثلاث سنوات بشاب كان معى فى الكلية نفسها بعد قصة حب غير طويلة، لأننى قد تعرفت عليه فى امتحانات آخر سنة فى الكلية، ولكنه ليس فى سنى، فهو أكبر منى بأربعة أعوام، بعد ذلك تقدم لخطبتى وبارك الأهل جميعًا هذه الخطوبة، ولم تكن تخلو فى تلك الفترة من بعض المشاكل العادية التى تحدث أثناء فترة التجهيزات، والحمد لله مرت جميعها بسلام، وتزوجنا وأنا فى قمة الفرح والسعادة، لأنه سيكون لى بيت وزوج واستقلالية مثلما تحلم أى فتاة، وبعد الزواج بوقت ليس طويلاً

لاحظت بعض التصرفات الغريبة من زوجى، مثل أنه لا يأكل كثيرًا، فقلت إنه من الجائز أن أكلى لا يعجبه، وكان لا ينام تقريبًا فعزوت ذلك إلى القلق، وإلى ساعات العمل الكثيرة التى يقضيها خارج المنزل، حيث كان يعمل مع والده الذى يملك شركة تجارية.

وبعد الزواج مباشرة حملت فى طفلى الأول، وكنت فرحة جدًّا ولكن كان هناك دائمًا ما ينغص على حياتى، فلم يكن واضحًا على زوجى أى شىء ولم أشك فى أى شىء، ولكننى أحيانًا كنت أجد كدمات على ذراعه، فأسأله من أين؟ يقول لى إنه ربما اصطدم بشىء أو أنه وقع وكنت أصدقه، وكان يذهب إلى العمل بكسل وزهق، وكنت أعزو ذلك أيضًا إلى أنه لم يكن متوافقًا مع والده فى العمل، كما كان يقول لى، وبعد كل هذه المبررات عشت معه إلى أن بدأ الشك يتسلل إلى قلبى، وكل ذلك ياسيدى خلال ثلاثة أشهر فقط، المهم اكتشفت أنه يتعاطى الهيروين، فلم أصدق حيث إننى لم أعرف هذه الأشياء طوال حياتى، كنت أسمع عنها وأراها فى الأفلام فقط، ولكننى حاولت معه أن يدخل المستشفى فرفض مرة واثنتين وثلاثًا، ولأننى كنت فى بداية حملى، وكنت تعبة وخائفة ومتزوجة حديثًا، ولا أفهم فى كل تلك الأشياء، فذهبت إلى بيت أهلى حيث لم أكن أحتمل كل ذلك فى تلك الفترة القصيرة، ومكثت عندهم ثلاثة أيام جاء إلى وتشاجر معى، وطلب منى العودة إلى المنزل وبالطبع لم يكن فى وعيه، ولم أكن أخبرت

أحدًا من أهلى بما حدث ولكنه عندما تشاجر معى، تفجرت القنبلة وقلتها وأنا أصرخ بعد أن فقدت السيطرة على أعصابى، إنه يتعاطى الهيروين فنزل الخبر على والدى ووالدتى كالصاعقة، ولم يعرفا بماذا يردان، وهو أيضًا ذهل تمامًا فلم يكن يتوقع ذلك ولا أحد توقع هذا، فهو من عائلة محترمة جدًّا ووالده رجل فاضل جدًّا، ووسط هذا الجو المتوتر ووسط كل هذا الذهول قال له أبى أن يذهب للمستشفى للعلاج ثم بعدها نقرر ماذا سنفعل، بعدها بيومين أصبت بارتفاع حاد فى ضغط الدم، وفقدت طفلى لأننى كنت فى حالة نفسية سيئة، مكثت عند أبى شهرين، ذهب زوجى خلالهما للعلاج، ثم بعدها جاء مع والده لأبى واستسمحه واعتذر عما فعل، ووعد هو ووالده ألاّ يكرر فعلته مرة أخرى، فرجعت إلى المنزل مرة أخرى لأعيد بناء حياتى مع الشخص الذى أحببته واخترته، وصدقنى ياسيدى لقد تفانيت فى ذلك، فعلت كل شىء ممكن فعله وتحملت الكثير، وقد كان والده خير معين لى، ووقف إلى جوارى كثيرًا وكان فعلاً عند كلمته لأبى، ووفى بوعده على أكمل وجه، ونمت بيننا رابطة عميقة فقد كنت أناديه أبى وهو يعتبرنى مثل بناته وأكثر، فقد كانت أيامًا جميلة لن أنساها ما حييت، وفى هذا الوقت كان فى أفعال زوجى تحسن ملحوظ وكان يعاملنى أحسن معاملة فهو يحبنى ومتعلق بى جدًّا، وأنا أيضًا أحبه، فسارت بنا الحياة بصورة جيدة إلى حد ما طوال سنة ونصف السنة،

أحسست فيها بأن المركب بدأت تسير فى طريقها المقرر لها، ولكن لا تأتى الرياح بما تشتهى السفن، فجاءت عاصفة أشد من سابقتها فقد توفى والد زوجى الذى كان - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - خير معين لى فى حياتى، ورأيه بالنسبة لى أسدّ الآراء، فقد كنت استشيره فى الكثير من أمور حياتى، ولم يكن يبخل على بالنصيحة أبدًا، فاشهد له بأنه كان لى والدًا جميلاً وحنونًا مع أنه والد زوجى، وليس والدى فرحمه الله مثلما رحمنى، بعد وفاته بشهر واحد تفجرت المشكلة من جديد، اكتشفت مرة ثانية أن زوجى عاد إلى ما كان يفعله سابقًا، ولكنه لم يكن بصورة مستمرة توثر على طبيعته الشخصية، ورجعت إلى نقطة البداية من جديد، ولكن هذه المرة بدون صاحب ولا معين.

هذه المرة لم أكتشف شيئًا ولكن زوجى هو الذى أتى إلى وأخبرنى أنه كان يفعل ذلك، وهو يرجونى بالدموع أن أذهب به إلى المستشفى لأنه لا يريد الاستمرار فيما يفعله، كان هذا طلبه بنفسه واعترافه هو، وأنا أيضًا أعترف بأننى لم أكن أعلم بما يحدث، حتى أخبرنى هو، وإن لم يخبرنى هو ما كنت عرفت على الأقل فى ذلك الوقت المبكر، فذهبت به إلى المستشفى وقبل أن أتركه أمسك بيدى وقال لى لا تتركينى، أنت الشىء الوحيد الصحيح فى حياتى، لم أفكر وقتها فى ذلك الكلام لأننى كنت مصدومة للمرة الثانية وأشعر بالخيانة، فكيف له أن يعيش معى كل تلك المدة وهو يخفى على ما يفعله، أولم يستفد من المرة الأولى؟

ألهذه الدرجة يفرط فى؟ وأسئلة كثيرة شغلتنى وقتها غير حقيقة مرضه بذلك الداء اللعين.. الإدمان.

أول تفكيرى كان أن أساعده على تخطى تلك المحنة ومن ثم أطلب منه الطلاق بعد أن يقف على رجليه، فظللت معه طوال فترة علاجه بالمستشفى حتى خرج، وبعدها بقليل طلبت منه الطلاق بصورة ودية لأننى مازلت أحبه، ولكننى أخاف على نفسى إذا عاد إلى ذلك مرة أخرى، أن تكون عواقبها أكثر وإلاَّ يستطيع التحكم فى نفسه، يوم واثنان وظن هو أننى نسيت الموضوع، لأننا كنا نتكلم بصورة طبيعية جدًّا بل فى منتهى الحنية، ولكنه حين لم ينفذ لى طلبى ذهبت إلى منزل أبى، وأخبرتهم بما كان يحدث طوال تلك المدة، وطلبت منهم أن يتدخلوا ليطلقونى منه، ومكثت عندهم طوال ستة أشهر حتى كتابتى لهذه الرسالة، وفى هذه الأثناء حصل زوجى على عمل أخر فى محافظة أخرى لأنه أغلق الشركة حيث أعلنت إفلاسها لكثرة الديون، وتحسنت أحواله النفسية والمادية إلى حد كبير.

خلال كل تلك المدة حدثت كل أنواع التردد، فيومًا أقول لن أعود إليه أبدًا بعد الاستماع إلى آراء الجميع طبعًا، وعندما أخلو إلى نفسى يروادنى حنينى وشوقى إليه وإلى بيتنا الذى بنيناه معًا. الآن ياسيدى إن مشكلتى مع نفسى ومع أهلى فهم يريدوننى أن أنفصل عنه ويرفضون رجوعى إليه رفضًا باتا، ليس تعنتًا منهم ولكنه خوف على، ويقولون لى

إنهم قد أعطوه الفرصة قبل ذلك ليثبت أنه أقلع عن تلك الأشياء، ولكنه لم يستغلها ويصرون على أنه إن أردت العودة إليه فهم لن يعرفوني، ولن يقفوا إلى جوارى مرة أخرى، لأنه بالنسبة إليهم أمره منته، وأنها الآن فرصتى الوحيدة حيث إننى مازلت صغيرة ولست مرتبطة معه بأولاد لأنه خطر عليهم، لو كان عندى أطفال، كأن الارتباط الوحيد بين الرجل وزوجته هم الأطفال، أعرف أزواجًا كثيرين منفصلين وبينهم أطفال، ووجودهم لم يكن عائقًا فى الانفصال، وعلى الوجه الآخر أنا عندى أمل فى إصلاحه خصوصًا أنه كما أخبرتك هو الذى طلب العلاج بنفسه دون إجبار من أحد وأملى فى الله كبير.

تتساءل الآن لم لم أعد لبيتى حتى الآن؟

إننى لا أستطيع أن أترك أهلى وأذهب له دون موافقتهم، فأنا لا أريد أن أخسرهم، فقط أريد إعطاءه الفرصة ليثبت أن ما حدث قد انتهى فلنتقابل فى منتصف الطريق أريد فرصة فقط، وإن ثبتت صحة كلامهم تركته فورًا، هو أيضًا وعدنى بذلك قال لى إنه لو عاد لذلك مرة أخرى سيتركنى لحالى بعدها، ولن يماطلنى فى الطلاق، بأى شكل من الأشكال، لأنه لا يريد بى شرًا وأنه نادم حقيقة هذه المرة على ما فعل.

وهم مصرون على رأيهم بأنها فترة مؤقتة، وأنه عائد إلى هذا الطريق لا محالة. ياسيدى إن الله قادر على هداية كافر ألا يمكنه أن يهدى مسلمًا موحدًا إلى طريقه مرة أخرى بعد عودته إليه.

استغفر الله!! ماذا أفعل لا أريد أن أخسر أحدًا، فقط أريد الفرصة لأعيش مع من أحب، أعرف أنهم لا يريدون لى إلاّ الخير ولكن أليس من حقى أن أعطى زوجى تلك الفرصة، مع أننى خائفة من صدق كلامهم، ولكن أملى فى الله كبير لأنى لا أريد إلاّ خيرًا، وأحيانًا أندم لأننى تركته وجئت منذ البداية ولكن قدر الله وما شاء فعل، فقل لى ما الحل فى هذه الحلقة المفرغة؟



سيدتى : اسمحى لى أن أعبر عن دهشتى من موقفك، عندما انسحبت من حياة زوجك، والذى يجمع بينكما الحب الكبير، عندما جاءك بنفسه ودون أن تلتفتى إلى أى تغيرات فى شخصيته، وأعترف لك بأنه عاد إلى الإدمان وطلب منك مساعدته فى إنقاذه، وكنت رائعة فى موقفك حتى خرج من المستشفى بعد الشفاء، ولكنك حاسبته على كذبه، وتركت له البيت، وأوغرت صدر أهلك عليه، فالحمد لله أن زوجك لم ينتكس ويعود للإدمان مرة أخرى. مثلما يحدث فى هذه الحالات. لأنه يبدو راغبًا وبإصرار فى الشفاء، ويبدو أيضًا أنه يحبك كثيرًا فلم يغضب من موقفك ويعتبرك قد تخليت عنه فى محنته، فى منتصف الطريق.

سيدتى.. لم أناقش لماذا أدمن زوجك، ومسئوليته عن الوقوع فى هذه البئر السحيقة، لأنه - بعزيمته وبفضل الله - استطاع وبمساعدتك من البداية النجاة.

كنت قد نصحت صاحبة رسالة «سيدة القصر» بالهروب من البيت وعدم الاستمرار مع زوجها المدمن، لأنه لا يبحث عن العلاج ويدمرها ويهدم البيت الآمن برفاقه المدمنين، أما أنت، فأناشد أسرتك أن تمد يدها لزوجك وتعيدك إليه، وتحيطكما بالحنان والحب، ولا مانع من تأجيل الإنجاب حتى تطمئنى تمامًا إلى شفائه ومقدرته على مقاومة إغراءات العودة.

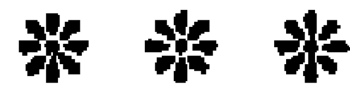
وأنصحك بمتابعة حالته عند طبيب مختص، أو لدى المراكز المؤهلة لعلاج المدمنين، لأن مدمن الهيروين يحتاج إلى وقت طويل من المتابعة حتى لا يعود مرة أخرى بفعل الظروف المحيطة، والخلل الذى يحدثه المخدر فى مراكز المخ، وليتكم تتذكرون - أنت وأسرتك ومن هم فى مثل ظروفك - أن حالة زوجك مرضية، أى هو مريض يحتاج إلى الرعاية والعلاج، وليس مجرمًا يستحق العقاب وإلى اللقاء بإذن الله.

خريف الأشواق

أنا رجل أبلغ من العمر56 عامًا، ومتدين وميسور الحال ـ والحمد لله ـ تزوجت عمرى 26 سنة، وكانت زوجتى مريضة بالقلب، مخالفا رفض أسرتى لهذا الزواج لمرضها.. وفى عامنا الأول من الزواج حملت زوجتى وأصابها مرض نفسى، واستعنت بالله على علاجها ومازلت أعانى معها من حين لآخر، ورزقنى الله منها أربعة أبناء: ثلاث بنات، وولد واحد خلال عشر سنوات، ثم أصيبت زوجتى بالفشل الكلوى فى عامها الثانى عشر من الزواج، وحتى وقتنا هذا يعنى17 سنة من المرض أسأل الله أن يتم شفاؤها. وعرضتها على أطباء استشاريين لإجراء عملية زرع كلى فقالوا لايمكن، لمرضها بالقلب وإجراء العملية خطر على حياتها، وخلال هذه الفترة من الحياة الزوجية كنت نعم الزوج ونعم الأب بالمساعدة فى أعمال البيت ونظافته، تعلم الأبناء حتى حصل كل منهم على ما وفقه الله فى دراسته، إلاّ الابن الوحيد الذى مازال فى دراسته الجامعية لأنه أصغرهم.. ومن فضل الله علينا تم زواج بنتين والحمد لله، والثالثة تمت خطبتها، وهى الوحيدة التى تقوم

بأعمال المنزل ومساعدة الأم لمرضها، ويعلم الله أننى لم أقصر فى خدمة زوجتى ومساعدتها فى علاجها، والذهاب بها لعمل جلسات الغسيل الكلوى ثلاث مرات أسبوعيًّا، وبجانب ذلك أصبر عليها فى بعض تصرفاتها الخاطئة فى مشاكل البيت. والأبناء ابتغاء مرضاة الله، ومرت السنوات بخيرها وشرها وحلوها ومرها حتى وصلنا إلى بر الأمان، واطمأننا على مستقبل الأبناء. تسألنى ما المشكلة إذن؟ أقول لك ياعزيزى بكل صراحة وصدق، مع ازدياد الفتن والمؤثرات فى محيط العمل وخارجه، بل وفى كل مكان، ومع مرور العمر عامًا بعد عام وحرصًا على دينى وخوفى من الله دفعتنى غريزتى وفطرتى إلى الزواج من أخرى، لأنى فى حاجة إليه إن عاجلاً أو آجلاً، خصوصًا بعد خروج الأبناء من البيت، وبلوغى سن الشيخوخة، إذا كان فى العمر بقية وفور أن أخبرت زوجتى برغبتى فى الزواج من أخرى، مع وعد بإذن الله أنى سأكون عادلاً ولن أتخلى عنها، بل إنها ستساعدها وترعاها إذا طلبت ذلك منها، وسوف يكون لكل منهما شقة مستقلة، فما كان من زوجتى التى عشت معها ثلاثين سنة وفيًّا ومخلصًا لها ولم أقصر فى خدمتها ورعايتها، إلاّ المعارضة أو الطلاق، وقالت لى أشياء أخرى لا أحب أن أذكرها، ولم تكتف بذلك بل حرضت بناتها خصوصًا الابنة المخطوبة أن تفسخ خطبتها وتضرب عن الزواج، إذا أنا تزوجت من أخرى، وأنا أشعر حاليًّا بأن ليس لى شخصية ولا كرامة ولا قوامة،

إذا استجبت لرغبتهم وقاومت أحاسيسى ومشاعرى فى الزواج، التى ملأت كل كيانى. وأرانى لا أستطيع المقاومة لأن حاجتى إليه ملحة إن عاجلاً أو آجلاً، وأصبحت علاقتى وحياتى بأسرتى فاترة وقاتلة وبغيضة، ليس فيها عاطفة ولا مودة بالرغم أننى لم أتزوج حتى الآن، وأنا أعلم جيِّدا أن إقبالى على الزواج ليس فيه معصية، ولا ذنب. بل أحله الله سبحانه وتعالى لعباده، وهو أعلم بما يصلحهم ويحقق سعادتهم فى الدنيا والآخرة، فلماذا تنساق زوجتى وراء أنانيتها وعاطفتها وتخالف أمر ربها دون تحكيم العقل، أو النظر لمصلحتها وراحة زوجها الذى استقامت عشرته معها وصبره عليها ثلاثين عامًا؟ هل أنا أرتكب كبيرة من الكبائر حينما أتزوج من أخرى وأعدل بينهما؟ ولماذا لاتقبل المرأة زوجة أخرى لزوجها بسبب أو غير سبب مادام الأمر حلالاً وغير ظالم؟ ولماذا لاتضع الزوجة الأولى نفسها مكان زوجة ثانية لمن تكون عانسًا ـ أو أرملة أو مطلقة وما أكثرهن فى مجتمعاتنا؟ أليس من الواجب والحكمة والثواب والفضل على كل مقتدر أن يكون سببًا فى مسح دمعة مطلقة؟ أو إدخال الفرح والسرور على فتاة عانس أو كفالة وحماية أرملة وأولادها؟ ولماذا لاتحرص زوجتى على إرضائى حتى يرضى عنها ربها، وتدخل من أى أبواب الجنة شاءت، أرجو أن تنصح زوجتى وأبنائى بالموافقة على زواجى لأنهم من قراء بريد الجمعة.



سيدى : استجمعت كل طاقتك، لترصد حجم عطائك وتضحيتك، من أجل زوجتك المريضة وأبنائك، وتذكرت كل مشكلات المجتمع من طلاق وعنوسة وتأخر سن الزواج، ليكون الحل الوحيد أمامك - وأنت مرتاح البال - هو مشروعية زواجك بأخرى، قبل أن يضيع ما تبقى من عمر، وقبل أن تشيخ المشاعر والأشواق، من اليسير أن أبارك رغبتك فى الزواج، وأدعو زوجتك المريضة إلى تقبل الأمر الواقع، شاكرة لك كل ما قدمته من أجلها، مع وعدك بالإبقاء عليها دون تطليق، خصوصًا وأنت تتحدث بيقين - لا أعرف مصدره- عن أن زوجتك الجديدة ستكون خادمة لها. ولكن سيدى، دعنى أسألك سؤالاً واحدًا، إذا أجبت عليه بصدق فستعرف لماذا ترفض زوجتك أن تتزوج بأخرى، وتستعين بكل أسلحتها لمنع هذه الزيجة. لو تخيلنا ياعزيزي ـ والتخيل هنا ضرورة ـ إنك بعد زواجك أصبت بمرض، أو تزوجت وأنت مريض، واستمرت زوجتك معك، حبًا ورضاء بما قدره الله لها، وأنجبتما أبناءكما الأربعة، وعشتما حياتكما بحلوها ومرها، ثم جاءتك زوجتك بعد ثلاثين عامًا لتخبرك أنها تريد الطلاق لتتزوج بآخر، لأنها تخشى الفتنة بسبب كل الإغراءات التى تحيط بها. لن أحدثك عن صدمة رجولتك ـ التى تشبه الصدمة فى أنوثتها ـ ولكنى أريدك أن تتخيل نفسك بعد هذا العمر، فى مواجهة

عجزك ومرضك وحيدًا فى الليل والنهار، خصوصًا أن ابنتك الأخيرة على أبواب الزواج. إنه الفزع ياسيدى الذى يأتى فى خريف العمر، فما بالك وعمرك قد ضاع، وفى نهاية الرحلة، وأنت تنتظر مكافأة الأيام، بأن ترى زوجتك وأولادك وأحفادك حولك، تجد نفسك مهانًا، وحيدًا، مريضًا، بينما شريك عمرك، هناك فى مكان آخر يبحث عن سعادة أو متعة مع آخر، هل ستكون راضيًا ياسيدى؟.. هل ستكون متفهمًا لموقف زوجتك، أم ستراها خائنة؟ ولن تذكر لها أبدًا أنها ظلت بجوارك على مدى ثلاثين عاماً متحملة مرضك وآلامك؟ هذا هو إحساس زوجتك الآن، وأنت تطلب منها بكل بساطة أن تتفهم حقك فى الزواج، والاستمتاع بما تبقى لك فى الحياة.

إن الرحمة ياسيدى تسبق الحق، فالله سبحانه وتعالى عندما شرع تعدد الزواج، وضع له ضوابط فهو القائل فى كتابه الحكيم: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ (النساء:3) وفى مثل حال زوجتك مهما ادعيت من مقدرتك، وحسن اختيارك لزوجتك الجديدة، فلن تستطيع أن تعدل. ربما لو كنت قد اتخذت قرارك مبكرًا، وقبل مرور كل هذه السنوات، كان أيسر على كل الأطراف، ولكن فى

سعيك وبحثك عن سعادتك وحدك، ستؤلم آخرين، فأنت وطن امرأتك، وما أقسى أن تجد نفسها فى مثل هذا العمر بلا وطن، وأنت القيمة المضحية لابنائك وأزواجهم، فلا تغامر وتقامر بما فات وهو كثير، من أجل مجهول لاتعرف إلى أين يقودك، ابحث عن السعادة فيما تملك، ولاتلق به من طابق عمرك الثلاثين، أملاً فى بهجة تسكن الطابق الأول، فإذا فعلت فلن تستطيع الصعود مرة أخرى، فها أنت تشعر من الآن بفتور علاقتك مع أسرتك، فماذا سيكون حالك لو تزوجت؟ احتسب تضحيتك عند الله، فهو العادل الرحيم، وأرض بما أنت فيه، حتى تجنى ماضحيت به، فليس من الحكمة الرحيل قبل مواسم الحصاد، وإذا كنت تريدنى مناشدة زوجتك وأبنائك حتى يرضى عنها الله ويدخلها من أى باب شاءت إلى الجنة، فإنى سأطلب منك أن تتقى الله فى زوجتك المريضة فى هذا العمر الصعب، وسيجعل الله لك مخرجًا من كل ما أنت فيه من عذاب وقلق وضيق.. وإلى لقاء بإذن الله.

قطار الحياة

عندما قرأت رسالة خريف الأشواق، وقرأت ردك عليها، وجدتنى أرغب فى الكتابة إلى صاحب الرسالة، وكأنى أشكو حالى وهمى فأقول:

أخى العزيز صاحب رسالة خريف الأشواق. لا أحد فى الدنيا يحس بما تحس به مثلى ويقدر ما تعانيه، وذلك لسبب واحد أننى أعيش فى ظروفك ومعاناتك نفسها مع اختلاف الأسباب، فإذا كانت زوجتك مريضة عضويًّا فأنا زوجتى مريضة نفسيًّا، ومنذ اليوم الأول لزواجنا أحسست أننى أسأت الأختيار تمامًا من كل النواحى، ولا أدرى كيف استطاعت زوجتى أيام الخطبة أن تكون شكلاً آخر، وأدركت أسباب إسراع أسرتها فى إتمام الزواج بأى ثمن فهى: سيئة المعشر سليطة اللسان سريعة الغضب. وأقسم بالله أننى لا أتجنى عليها فهى إذا أحبتك سبتك وسبت أباك، وإذ غضبت منك سبتك وسبت أباك وجدك، وكل ما يتصل بك، ستقول ولماذا تغضبها؟ أقول لك ياسيدى هى تغضب من الهواء. وتغضب للغضب نفسه. وقد من الله عليها

بصحة مارد من عفاريت سليمان، فهى لا تهدأ ولا ترتاح إلاّ إذا دق جارنا فى الدور العاشر بابنا من ارتفاع صوتها الذى يصل إلى ميدان روكسى رغم أننى أسكن بجوار الكلية الحربية. لكن ياسيدى العزيز لا أسبابى التى سقت إليك بعضًا منها أو أسبابك مبرر لما نعانيه حقًّا. لكن السبب الرئيسى الواقعى أننا كنا أشبه بمن يركب قطارًا يجرى به، فلا يدرك ما حوله، وما يمر أمامه من صور. كنا ياسيدى مشغولين بقطار الحياة وكفاح الحياة ونار الحياة، فتحملنا هبو الحرمان والأشواق، ولم نبال وأرواحنا تجف رويدًا رويدًا. هل تصدق ياسيدى إننى متزوج من ثلاثين عامًا لم أسمع فيها كلمة حب، ولا كلمة شكر، ولا اشتاقت ليلة إلىَّ، وكانت طوال تلك السنين كأنثى الأسد، لا تنام له إلاّ فى المواسم والأعياد، ورغم ذلك صبرت أنا وأنت لأن أمواج الحياة كانت تلاطم وجهينا، ولم يكن هناك مفر ولا وسيلة للهبوط من هذا القطار إلاّ بعد التوقف، وحينما هدأت سرعة القطار وتزوج الأبناء وخف لهيب الحياة، فوجئنا بالصور حولنا وياهول ما رأينا. أجساد عارية، وأفلام جنس، وإعلام ساقط، وألفاظ كنا نستحى أنا وأنت أن تخطر ببالنا، ومشايخ مأجورين يتحدثون فى كل شيء بدعوة أن لا حياء فى الدين، وهى دعوة مغلوطة مع الأسف، لأن المقصود منها أن نسأل بحياء وفى سرية وبين السائل والمسئول حجاب، لا أن يتم السؤال علنًا وعلى الهواء وعلى الملأ، وفياجرا ومشتقاتها وكيف تدق المسمار، وكأن

هؤلاء الناس قد تم تطعيمهم ضد الحياء والأدب، وأصبح الخلق الرفيع كالطرابيش ياسيدى لا وجود له. هنا فقط بدأنا أنا وأنت وكثيرون غيرنا يعيشون الوهم والأحلام المريضة، بأنهم قادرون على العودة للحياة بعد أن أوشك قطارها على التوقف نهائيا.

لا يا سيدى: إن دعوتك ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، فكيف تستطيع أن تجارى فتاة عانسًا فى سن الثلاثين، وأنت تقترب من الستين عامًا؟ وستهل عليك أمراض الشيخوخة والعجز، فتطرد من الجنة التى تصورتها، وتكون خاسرًا لأبنائك وأحفادك وزوجتك وصحتك، وتلك المرأة الجديدة التى تصورت أنها ستطفيء معك لظى الشوق، فإذا بك تزيده اشتعالا والمجال لا يسمح بالإطالة أكثر من ذلك، خصوصًا أن نساء مصر الآن لسن كأمى وأمك يعرفن معنى الوفاء. والإخلاص وأهم من ذلك الشرف، وإلاَّ فكيف ظهر الزواج العرفى وعمليات الترقيع والبوى فرند؟

ياسيدى أنا وأنت وأمثالنا جزاؤنا عند الله يوم القيامة فاصبر يا أخى.

* * *

سيدى : ما كل هذا الغضب، وما كل هذه المرارة؟! ولماذا صبرت كل هذه السنوات؟ إن الصبر فى ابتلاء الله سبحانه وتعالى، أما

عندما نخطيء نحن الاختيار، ونكتشف سوءه منذ بداية الزواج، فلا شيء يجبرنا على الاستمرار فيه، أما إذا قبلنا وارتضينا سوء اختيارنا وتعايشنا به ومعه، فليس علينا أن نهدم المعبد، ونلعن النساء والزواج، حتى نغسل أيدينا من سوء اختيارنا. إن وضعك يختلف كثيرًا عن صاحب رسالة خريف الأشواق، فليس من المعقول ولا المقبول أن يقفز رجل فى مثل عمره من سفينة هو ربانها، تاركًا على سطحها زوجة مريضة، وحيدة، عانت حتى ربت أولاده خير تربية، ولو كانت بسوء زوجتك ـ كما تدعى ـ ما نصحته أبدًا بالاستمرار، ولم أفهم لماذا قبلت أن تستمر فى حياة هى أشبه بمعتقلات التعذيب؟ إن القطار الذى كنت تركبه، يقف فى محطات عديدة، فلماذا لم تفر من هبو الحرمان والأشواق، وتنجو ببدنك وروحك؟ لكن يبدو ـ وهذا يحدث مع كثيرين غيرك ـ أنك آثرت الاستكانة لواقع لا تأمن غيره، وارتضيت بحظك من الدنيا، ناظرًا من شرفة القطار للأيام تجرى أمام عينيك، وعندما اقترب القطار من محطته الأخيرة كما اعتقدت وهدأت سرعته، وهبط أولادك منه، تلفت خلفك فرأيت ما فاتك، وتحسرت على عمرك، ولكن هذا لن يفيد.

سيدى.. انظر إلى موضع قدميك، إلى المحطة القادمة، فلا أحدنا يعرف أين يقف القطار؟ فإما أن تعيش راضيًا بما أنجزت فى الرحلة، آملاً أن تجنى ما ضحيت به فى أبنائك وأحفادك، وإما أن تبحث عمن

يكمل معك ما تبقى فى رحلة القطار، دون أن تبحث عن عمرك الضائع مع فتاة صغيرة ـ كما قلت ـ ثم تلومن نساء مصر لأنهن لسن كأمك، بل ـ فى هذه الحالة ـ ابحث عمن تقاربك فى العمر والثقافة، حتى لا تكرر خطأك مرتين، ويصل بك الأمر إلى الرغبة فى انتحار حور عينيك، فاليأس الذى تعبر عنه كلماتك قاس ويعبر عن خوف من مواجهة الحياة، هذا الخوف هو الذى أدخلك سجن الروح فالذين يخافون من الألم، يتألمون من الخوف، فلا تقض حياتك رهينة للخوف والألم، وجازف كى لا تموت وأنت واقف، وإلى لقاء بإذن الله.

الحب القديم

أنا سيدة عمرى30 عامًا، تزوجت منذ ثمانى سنوات من شاب يكبرنى بعامين، كان زميلى فى كلية من كليات القمة، لم يجمعنا الحب ولكنه الاختيار الواعى الناضج.. فمنذ خطبتى وعمرى20 عامًا، وأنا أمتلك فكر امرأة مسنة، وأقصد بذلك فكرًا يعكس حكمة وخبرة منحهما لى الله هبة من عنده سبحانه وتعالى، فأنا أعشق البيت وأقدسه، كما أقدس الزواج ودور المرأة فى بيتها، ولذلك أحب صورة المرأة التقليدية، أو التى أوصى بها الحكماء، أرفض الصوت العالى، والغضب الى منزل العائلة، يشم منى زوجى أطيب الروائح، ولايرانى فى بيتى إلاّ فى أجمل وأكمل صورة حتى لو كان بيننا غضب، قررت أن أكون الزوجة والصديقة والأم فى وقت واحد. لا أقول كلامًا نظريًّا ياسيدى، فقد كان معى زوج فعلت معه أكثر من ذلك بكثير، ولكن المفاجأة أننى الآن مطلقة.

عندما اخترت زوجى كان شابًا وسيمًا، يؤدى الصلوات بانتظام ويبر أهله، أما عيبه الوحيد وقتها فكان علاقاته النسائية، لم يخف عنى

مغامراته، ولكنه قال لى إنه يريد بى الدنيا والآخرة، وإنه بزواجنا سيتوقف عن هذه العلاقات فورًا، وصدقته، لأن كثيرًا من الشباب يفعلون مثله وشقيقى كان مثله قبل الزواج، ثم تاب وتوقف عن أى معصية بعد الزواج، وقتها كنت أحدث نفسى بأنى قادرة على حمايته من ارتكاب المعاصى، فأنا أتمتع بقدر من الجمال يجعلنى فى منزلى أنثى جميلة، وخارج منزلى بحجابى سيدة محترمة. ولأن زوجى عند زواجنا كان لا يمتلك شيئًا. سافرت معه الى دولة خليجية، وعين فى شركة مرموقة ساعدتنا على أن نبدأ حياتنا فى نعيم واستقرار، هذا النعيم والاستقرار حالا بينى وبين شريك حياتى، الذى جازفت معه وبه وهو لا يمتلك شيئًا، فقد تباعدت المسافات بيننا رويدًا رويدًا، لم يعد زوجى يرانى تلك المرأة الجميلة، ولم تحفظه مراعاتى لبيتى واهتمامى بأسرته، نعم كان يقول لمن حولنا إنى مثالية ولكنه يحتاج الى امرأة أخرى، يقضى أيامه بحثًا عن هذه المرأة، وفى كل مرة، وعندما يجدها يكتشف أنها ليست هى، فيبحث عن أخرى، هذا البحث الدائم أدخلنا فى مشكلات لا تنتهى.

ذات صباح استيقظ من النوم، وانهمر فى بكاء شديد، ثم قال أنت طالق، وترك لى البيت وانصرف، لم أدر ماذا أفعل؟وماذا أقول لابننا الوحيد؟ لم أخبر أهلى وبقيت فى بيتى حتى مر أسبوع، وتدخل أهله وعاد مرة أخرى لمواصلة الحياة معنا، بذلت جهدًا مضاعفًا كى أرضيه،

سألته عما يغضبه منِّى حتى أغيره؟ كل من حولى كان يصفنى بأنى استشهادية فى الحفاظ على بيتى، أما هو، فلم يتغير فيه شيء، استمر فى رحلة بحثه عن أخرى، تلك الأخرى، التى كان يصفها بأنها هيفاء غير متدينة إلى الحد الذى أنا عليه، لا ترتدى الحجاب ليست مثقفة، يعنى اختار نقيض صفاتى لتكون هى الأخرى التى يبحث عنها، وفى النهاية ووسط دموعى ودموعه، وتوسلاتى ورفضه طلقنى نهائيًا ورحل. ما دفعنى للكتابة إليك ليس الماضى الذى تركنى وانصرف بعيدًا حيث شاء، ولكنه واقعى الآن يا سيدى، فأنا امرأة لا تستطيع أن تحيا بدون مملكة، ولا أستطيع ان أراعى ابنى وحدى، أشعر كثيرًا بالخوف والوحدة والاحتياج، وقد ظهر فى حياتى رجل، أتى من الزمن القديم كانت بيننا قصة حب بريئة وجميلة، قبل أن أتعرف على زوجى السابق، وأراد أن يتقدم لى ولكن والدته رفضت بشدة، فأخطأ واستسلم لرغبتها وتزوج على الفور بأخرى، وأنجب طفلين وعاش حياته، وعندما علم بطلاقى عاد من جديد، عاد ليقول لى إن الله يشعر به، ويعرف سبحانه وتعالى أنه ما توقف عن حبى يومًا، هذا الحب الذى قربه كثيرًا إلى الله، وأحس أن طلاقى رحمة من ربى به، وقال لى أيضا إن شريعة الله سمحة وتعطيه الحق فى الزواج مرة ثانية بمن أحبها، حتى يذهب عنه الابتلاء بابتعاده عنى، لا أخفيك أنى كنت غير مقتنعة بالزواج منه، ولكن إصراره علىَّ وحسن خلقه وتصديقى لحبه لى، كل

هذا جعلنى أرحب داخل نفسى خصوصًا بعد أن قالت لى أمه إنها تتمنى موافقتى لأنها اكتشفت ظلمها له، وهو الذى لم يتوقف عن حبى يومًا، تبقى مشكلة زوجته أم طفليه، هو عاهدنى أن يعدل بيننا وأنه لن يظلمها أبدًا، وقد أخبرها بذلك، ولم ترفض بعدما رأت اهتمامه بها يزداد بعد قراره بالزواج منى.

وأسمعنى أقول لنفسى: هذه هى الحياة فأنا الزوجة المحبة العاشقة لبيتها، المتفانية فى رعاية زوجها تطلق، وكثيرات من النساء منعمات دون وجه حق بنعمة البيت والزوج، ثم إن ابنى يحتاج إلى من يرعاه، ولن أجد خيرًا من هذا الرجل، وسيفيدنى ارتباطه بأسرة أخرى لأنه سيتيح لى وقتًا للاهتمام بابنى. إننا نسعى إلى شرع الله، ولكن أبى يرفض، ولا أريد أن أشق عصا الطاعة، فأرجو أن تنصحنى دون قسوة علىَّ، ولا تغلق الباب الحلال فى وجهى، فليس ذنبه أنه أحبنى دون أن يسعى لذلك، ولكنها الأقدار، ولا تسلنى ماذا لو كنت مكان هذه الزوجة؟ فزوجى لم يرد بيتًا آخر معى، ولكنه أراد ضالته بدونى، فلم تتح لى حتى الفرصة التى أتيحت لزوجة هذا الرجل الذى ابتلى بحبى كما يردد دائمًا.

* * *

سيدتي : دعينا نعود إلى البدايات، فالمقدمات دائمًا تقود إلى النتائج، فأنت تقولين إنك ناجحة وملتزمة دينيًّا قبل الزواج، عندما اخترت ووافقت على زميلك الذى تقدم لك، وأنت جريحة من علاقة حب لم تكتمل لأن من أحببته، سمع رأى والدته واستجاب لرغبتها وذهب على الفور ليتزوج بأخرى، أما أنت فقد قبلت الطارق الجديد وأنت تعرفين جيِّدا أنه متعدد العلاقات والرسول الكريم يقول: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**»، فهل مثل هذا الشاب ذو دين وخلق؟

لقد تعاملت معه مثل كثيرات من الفتيات، يثقن فى مقدرتهن على تغيير سلوك غير أخلاقى بعد الزواج، أو يفضلن الارتباط بشاب له تجارب، مما يشجع الشباب على المعصية والمباهاة بها، وليته أخبرك عن توبته، وإنما وعدك بعد الزواج بالتوقف عن الخطيئة، الاختيار الخاطئ هو الذى قادك الى ما أنت فيه، وما فعله زوجك نتيجة طبيعية لسلوكه قبل وأثناء زواجكما. فإذا وصلنا الى ما أنت فيه الآن ماذا نجد؟ امرأة جريحة تئن من الاحساس بالظلم، تلوم الحياة لأنها ضنت عليها بالملكة والزوج، اللذين لا تستطيع العيش دونهما، تنظر بغضب وتنصب نفسها إلهًا، كثيرات من النساء منعمات دون وجه حق أليست هذه هى جملتك؟ من الذى يحدد الحقوق يا سيدتي؟ بالتأكيد لست أنت، وإن كنت أحترم حزنك وغضبك. إلاَّ أنى أخشى أن يكون هذا

الاختيار أيضًا مندفعًا، تحكمه الرغبة فى الحصول على حق تعتقدين أنه لك، متغافلة عما قد ينجم عنه من مشكلات تدفعك مرة أخرى إلى هاوية الطلاق، ومن يعرف ربما يكون هناك ضحية جديدة بابن آخر.

سيدتى: هذا الرجل تركك فى أول مواجهة، فمن يدريك أنه لن يتأثر مرة أخرى برأى أمه، أو بالأزمات التى قد تصادفه مع أم طفليه فيهرب منك كما فعلها أول مرة. أنا لا أقف ضد الشرع ولا ضد حقه فى الزواج بأخرى، إذا كان هناك ما يستدعى ذلك، ولكنى أخشى تحت ضغط الاحتياج والحسابات الخاطئة، أن تندفعا إلى زواج غير محسوب، فيهدم بيتين بدلاً من بيت واحد.

سيدتى: أنت فى حاجة إلى هدنة مع الأيام، حتى تتخلصى من مرارة الماضى، وعندما تبرأين تمامًا، أعيدى النظرة مرة أخرى، فإذا وجدت هذا الشخص أمامك، تأكدى من موافقة زوجته الأولى، وأنك لن تدمريها بلا جرم ارتكبته، واتخذى القرار الذى يسعدك ويريح ضميرك.

الزوجة الثانية... الزوجة الأولى

استجابة لرغبة الكثيرين من أصدقاء بريد الجمعة سنواصل، طرح الرؤى المختلفة حول التعدد ومفاهيمه، خصوصًا بعد أن أيقنت من خلال مئات الرسائل التى وصلتنى أن التعدد أزمة كبيرة، أزمة لدى الرجال الذين يرون أنه حق، هناك من يحاول انتزاعه منهم، وأزمة لدى المرأة، التى ترى أن استقرارها وسعادتها وأمن أبنائها مهدد بالانهيار، بسبب نزوة أو شهوة أو ملل ورغبة فى التغيير. وهناك طرف ثالث أغفلناه فى حواراتنا وهم الأبناء، ومعاناتهم وتشرد بعضهم بسبب زواج الأب من ثانية أو ثالثة. وأجدنى مضطرًا مرة أخرى لتأكيد أن التعدد ليس حرامًا، وإنما هو مشروع ومباح فى إطار ضوابط، هذه الضوابط هى التى يدور حولها الخلاف. ولذا أقدم هنا عددًا من الرؤى المختلفة، بعضها يبدو غير مألوف، وبعضها سيمثل صدمة ويطرح العديد من الأسئلة.

إذا كان صاحب رسالة الأزمة - الكاشفة - قرر الزواج من أرملة صديقه، بعد أن التقاها مرات عدة فى مكتبه، مما أتاح له اكتشاف

جوانب جذابة فى شخصيتها، وأتاح لهما التقارب الذى انتهى إلى الزواج بدلاً من الدخول فى علاقات غيرشرعية، فهل هذا يجيز للمرأة المتزوجة العاملة - كما جاء فى إحدى الرسائل- إذا أتاحت لها الظروف أن تلتقى برجل آخر، تجلس إليه، ترصده وتعجب به، أن تهدم بيتها وتطلب الطلاق حتى تتزوج ممن أحبته، بدلاً من الوقوع فى المعصية؟ هل إذا فتحنا هذا الباب، خصوصًا للرجل الذى بطبيعته يميل إلى التعدد، يبقى رجل مع زوجة واحدة.

التعدد الذى شرعه الله سبحانه وتعالى، قد يصلح ويصبح ضرورة فى مجتمع وفى زمان محدد، وقد يكون مفسدة فى مجتمع ووقت آخرين، والذين يستشهدون - دفاعًا عن التعدد - بارتفاع عدد الذكور عن الإناث، مارأيهم إذا عرفوا أن عدد الجنسين يكاد يكون متساويًا فى مصر، وأن نسبة كبيرة من الشباب - ذكورًا وإناثًا - لم تتزوج بسبب الظروف الاقتصادية، وانهيار العلاقات الاجتماعية، كما ترتفع نسب الطلاق لنفس السببين، إضافة إلى عدم الالتزام بالأساليب الصحيحة للزواج، أقصد أن مجتمعاتنا فى حاجة إلى مواجهة مشكلاتها لمساعدة من لم يتزوج حتى يكمل نصف دينه، والحفاظ على الزيجات القائمة، لأن استقرار الأسرة هو استقرار للمجتمع بأسره.

الأصدقاء الذين يدعون إلى التعدد أو يسعون إليه، هل يقومون بواجباتهم تجاه زوجاتهم وأولادهم؟ هل يجدون الوقت والصحة

لذلك؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فهل يمكن لنا تفسير ازدياد نسب التفكك الأسرى وانحراف الأبناء وارتفاع حالات الضعف الجنسى؟ بدليل الإقبال الشديد على الأدوية والمنشطات.

وإذا كانت الإجابة بلا، فهل يمكن للرجال فى مجتمعاتنا تحقيق شرط العدل المنصوص عليه فى حالة التعدد؟!

اعتقد أنه ليس من حق أى رجل لايقيم العدل مع زوجته الأولى وأبنائه، أن يتحدث عن التعدد أو يسعى للزواج بأخرى، لأن الهدف الأسمى للزواج هو إعمار الأرض بالسكن والمودة والرحمة، لاباالجرى خلف الغرائز، هذا الباب لن ينغلق أبدًا، لأن هناك دائمًا امرأة أخرى أجمل غير التى تزوجتها، ولو كان المعيار أوالمبرر هو الاشتهاء، لما كفى الرجل - نفسيًّا - مائة امرأة، فى حين أنه عاجز عن إرضاء وإشباع امرأة واحدة!!

صمام الأمان

إني ياسيدى على مشارف الخمسين، ولدت بالقاهرة ونشأت بالنوبة القديمة والجديدة على الفضيلة، فى مجتمع قبلى يتميز بعادات وتقاليد وأصول متوارثة، تزوجت شابة من أسوان، أصولها من جنوب السودان، تعمل مهندسة وتكبرنى بعامين ونصف العام، كنت عند زواجى بها عام1990 متشبعًا بكتابات د. طه حسين(الوعد الحق..) وعبقريات العقاد وغيرها من المؤلفات، التى تحض على الحق والخير والجمال.

تزوجت ياسيدى دون رضاء أهلى وإخوتى، وكنت أعتقد أننى على حق، حيث كان إعجابى بفتاتى وأسرتها لكفاحهم، حيث تخرجت هى مهندسة وشقيقتها معلمة، وشقيقها خريج جامعة القاهرة، وأعجبت بالنظافة المنزلية، رزقنا الله تعالى ثلاثة من الذكور، وسارت بنا الحياة دون عواصف والحمد لله، قمت بعد ولادة المولود الأول ببيع نصيبى من ورث عن والدى، من هنا بدأت المشاكل بينى وبين زوجتى، إذ كانت تخشى أن أتزوج عليها بذلك المال، وكان شقيقها معترضًا على

زواجنا فقام بطردها من منزل أبيها قبيل زواجنا، وأنبأها بأننى سأتزوج عليها ثانية إن آجلاً أو عاجلاً. استأجرنا شقة صغيرة فى أحد أحياء الجيزة وتزوجنا بها، سارت بنا الحياة لتكشف لى عنادها المتأصل وتمردها الوراثى، وحب سيطرتها على مقاليد الأمور، من تسمية الأولاد إلى دخول المدارس الخاصة، إلى مجاراتها لزميلاتها فى العمل بتقليدهن فى معظم أمور الحياة، رغم إمكانياتى المتواضعة. وتكشفت لى أبعاد شخصيتها المركبة من السيطرة والفارق الاجتماعى بينى وبينها، وتذكرت الآن لماذا جلست إحدى عماتى المسنات على عتبة المسكن صباح الزفاف وهى تبكى، إذ يعد هذا الزواج نادر الحدوث كل مائة عام! أما العقاب الذى تناله من زواج كهذا فى المجتمع النوبى فهو خروجك من الجماعة، وتجاهلك فى زيارات العيدين والمواسم الدينية والمناسبات الأسرية، المهم واصلت الحياة معها باللين والشدة لعلها ترعوى فخارت قواى.(هجر فى الفراش بعد نشوزها وخصام وتأديب بالقول)، طلقتها الطلقة الأولى فى مشادة بينى وبينها، حينما أصرت على أن تجامل أخاها فى ليلة زفافه بالمبيت يومين معهم، وقد صرحت لها بيوم واحد نظرًا لمدارس الأولاد وغيره. أعدتها لعصمتى قبل مضى الفترة الشرعية، أخذت الأمور تتفاقم لأنها تعيش تحت سيطرة إحدى خالاتها وبناتها، وهذه الخالة تحرضها ضدى، حتى إن زوجتى تجرأت ذات مشادة بأن أخذت بتلابيب ملابسى وكادت فى ثورتها العارمة أن

تبطش بى! عندها فكرت فى الزواج لعنادها الشديد. سارت بنا الحياة ملبدة بالغيوم، زوجتى تتصرف من تلقاء نفسها كأن العصمة فى يدها وكأن القوامة من حقها، وأصبح بالبيت ياسيدى رأسان وهناك مثل سودانى جميل يستنكر رأسين فى طاقية!

أصبحت المسألة يا سيدى أشبه ما تكون بحرب عرقية بيننا، تذكرت البيت الشعرى الجميل الذى تمثلته.

وما شرف الإنسان إلاّ بنفسه

أكان ذووه سادة أم مواليا

وهذا ماشجعنى على الكتابة إليك. تذكرت قول ذى الإصبع العدوانى فى حكمته:

كل امرئ راجع يومًا لشيمته

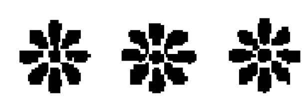
وإن تخلق أخلاقًا إلى حين

استخرت الله تعالى وتزوجت ثانية بأرملة تصغرنى باثنى عشر عامًا، قريبة لى معها ابنتان ترعاهما. هنا ياسيدى قامت الحرب العالمية الثالثة علىّ من زوجتى الأولى، شنت فيها حربًا لا هوادة فيها ضاربة بالتعاليم السماوية عرض الحائط، وبلغت بها الغيرة العمياء أن تطلب الطلاق، وحاولت الخلع وقالت فينا ما لم يقله مالك فى الخمر: «بلاء

ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذى حب ودين». إنى صابر محتسب بلاءها عند الله تعالى، وحرصًا على مستقبل أولادى وخوفًا من أن تؤذى غيرى من الرجال بعنادها(أم العناد) وغيرتها العمياء.

الآن ياسيدى أنصح كل مقبل على الزواج، بألاّ يتزوج إلاّ بعد تمحيص وتدقيق للجوانب كافة من شخصية فتاته ظاهرًا وباطنًا، وأن يكون بوثيقة الزواج شرط جزائي(صمام أمان) على الزوجة إن خالفت الشرع.

«**وما النفس إلاّ نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفوًا غديرها**» صدق الرسول صلى الله عليه حين قال: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**» وقوله عليه الصلاة والسلام: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» نسأل الله تعالى الصبر على البلاء والعون على الشدة.



سيدى : عندما تصلنى رسالة عن مشكلة زوجية، لا إراديا أفكر فى الطرف الآخر، فكما اتفقنا منذ البداية، الرسالة تحمل نصف الحكاية، والنصف الآخر يحمل وجهًا آخر للحقيقة، وجه يكشف لماذا تشككت زوجتك فيك منذ البداية، واعتقدت أنك ستتزوج بأخرى، هل لأنها أكبر منك بعامين ونصف العام؟ هل لأنك خالفت عادات وتقاليد مجتمعك القبلى؟

سيدى.. لقد كنت ضعيف الشخصية منذ البداية، فالرجل يضع مع شريكة حياته أسس الشراكة، وعندما يفرط فيها، وينسحب فى كل مواجهة، تشعر المرأة بأن السفينة تحتاج إلى ربان يدير الدفة بمهارات تعتقد أنها الأنسب. ولكنك حالم رومانسى غارق فى الشعر، هارب من المواجهة، تسللت إلى تحقيق نبوءة زوجتك المبكرة، وتزوجت بامرأة أصغر منك باثنى عشر عامًا، فأعلنت عليك الأولى الحرب العالمية الثالثة، وطالبتك بالطلاق وحاولت الخلع، ولكنك تصر على إبقائها محتسبا بلاءها عند الله سبحانه وتعالى، لماذا؟!

سيدى لقد ذكرت لى أن زوجتك الأولى مهندسة ولم تذكر لى وظيفتك، وذكرت مساوئها العديدة ولم تذكر لها أى حسنات، أى لايوجد مايجمع بينكما إلاّ الأبناء، ومثل هذه العلاقة تسيء أكثر مما تفيد، كن واضحًا معها مرة واحدة، اعرض عليها رغبتك فى الاستمرار معها ومع الزوجة الثانية، فإذا قبلت واصلا الحياة، أما إذا أصرت على موقفها، فسرحها بإحسان، فالمشكلة ياسيدى ليست فى ضمانات وثيقة الزواج، ولكنها فى اختياراتنا الخاطئة، والاستمرار سنوات طويلة فى علاقة مهزوزة ومهترئة، لنصحو بعد أعوام طويلة وندعى بأننا نقبل الذل والهوان من أجل الأبناء، الذين يدفعون الثمن دائمًا!

الزوجــة الثانيــة

قصـتى قد لا تختلف فى المضمون العام عن غيرها، ولكن تفاصيلها وظروفها فى منتهى الغرابة. أنا سيدة فى منتصف الثلاثنيات وزوجى كذلك، كنا معًا فى الكلية نفسها، وكان متفوقًا ومتدينًا ومن الطلبة اللامعين فى الكلية علميًا واجتماعيًا.

ربطت بيننا قصة حب مبنية أولاً على إعجاب كل منا بعقلية والتزام الآخر، وتوجت بزواجنا بعد التخرج.

كانت ظروفنا متوسطة، وكنا نكد ونكدح لنوفر من راتبنا لشراء ما ينقصنا من كماليات الحياة. كل هذا وحبنا يزيد وأنجبنا 3 أطفال كانوا زهرة حياتنا. وبعد 7 سنوات من زواجنا حصل زوجى على عقد عمل بالخارج ففرحنا فرحًا شديدًا. سافر زوجى ثم تبعناه ببضعة أشهر قليلة. ثم اضطررت للعودة إلى مصر لامتحانات الأولاد بعد أقل من سنة. خلال الفترة التى قضيتها مع زوجى هناك بدأ يزيد تدينه والتزامه أكثر من ذى قبل. وأنا كذلك، وبدأ يقبل على الدروس فى المساجد ومشاهدة القنوات الدينية الفضائية، ومنذ سافرت وأنا أطالب زوجى

بأن أذهب لأكون معه، وهو يماطل بحجج مختلفة، منها أن المدارس هناك غير مناسبة للأولاد، أو أن هناك مشاكل فى عمله وقد يقيلوه أو يستقيل. وظل هكذا طوال سنة ونصف السنة نزل خلالها إلى مصر مرتين - أجازة - حتى أنهى عقده فى هذا البلد. ثم أخذ يبحث عن عقد عمل آخر، وخلال وجوده فى مصر كنت أحس أنه تباعد عنى، وأنه لم يعد الكتاب المفتوح كما كان لى من قبل. وكان فى أوقات لقاءاتنا الخاصة يخبرنى بأنى أحسن شيء حدث له فى هذه الدنيا، وأنه لا يستطيع أن يستغنى عنى ويرجونى ألاّ أغضب منه مهما فعل، ويؤكد أنه يحبنى جدًّا. كنت أستغرب هذا الكلام، خصوصًا أن زوجى من النوع الذى لا يبوح بمشاعره، وكنت آخذ عليه هذه النقطة دائمًا. فى خلال هذه الفترة سافر إلى إحدى الدول العربية لمدة بسيطة بحجة عمل مقابلة عمل، رغم أنه كان قد حصل بالفعل على عقد عمل فى بلد آخر. ثم سافر للدولة التى حصل فيها على عقد عمل وذهبنا إليه بعد فترة، كنت أحس ساعتها أنه ضائق بنا ولا يحب صخب الأولاد ويضيق بمطالبنا، وعندما أساله عن سر التغير يقول إنه اعتاد المكوث وحده دون إزعاج أو ضجيج. طالبته بأن أسافر إلى مصر ويأتى هو فى الإجازة، فلم يتردد فى الموافقة، بل كان كأنه ينتظرها منِّى. يا سيدى أعجب أين ذهب حبنا؟ وهل الفلوس يمكن أن تغيره هكذا؟ وفى مرة من مرات أجازاته كان متوترًا جدًّا ودائم الشجار معى، رغم أنه من

النوع الهاديء، عندما سألته عما به وسر هذا التغيير الحاد، كان يقول لى الكلام نفسه الذى كان يقوله من قبل، وأنه يخاف أن يأتى يوم ننفصل فيه بالطلاق لأنه عانى هذه المشكلة مع والديه لفترة قبل أن يعودا لبعضهما.

وفى مرة من هذه المرات ألححت عليه أن يخبرنى بما يضايقه ويصارحنى إذا كان يعانى أية مشكلة لنحلها معًا، ففوجئت به ينهار ويبكى لأول مرة أمامى، ويقول أخاف أن تكرهينى وتتركينى فازددت قلقا وألححت عليه أن يخبرنى بماذا حدث؟ فإذا به يفجر أمامى قنبلة لم أتوقعها أبدًا. قال إنه فى المرة الأولى التى تركته فى البلد العربى الأول، كان يدعو الموظفين العاملين معه من آسيا غير المسلمين إلى الإسلام، لما علمه من عظيم ثواب الدعوة إلى الله، وأنه بفضل الله قد استجابت منهم موظفة وأسلمت، وكانت فرحته كبيرة بأن على يده أسلم شخص وأنقذ من النار. المشكلة أن أهل هذه الفتاة كانوا من المتشددين، عندما أخبرتهم بإسلامها اشتكوا للخارجية، بأنهم فى هذا البلد أجبروها على الإسلام، وترك ديانتها، فبعثت السفارة لمحل العمل بإنهاء عقدها وترحيلها لبلدها. تأزم زوجى جدًا وأحس أنه السبب فى إنهاء عقدها، ومما زاد المشكلة أنها حاولت الانتحار، وأنقذها فى المستشفى. وقالت لزوجى إنها إن ذهبت إلى أهلها فسيقتلونها إن لم ترتد عن دينها. وأشاروا على زوجى فى العمل أن الحل الوحيد لكيلا يرحلوها إلى

أهلها أن تتزوج. فصلى زوجى صلاة استخارة لكى يفاتحها فى هذا الموضوع، حتى جاءت له والدته فى المنام، وقالت له تزوجها فأخبرها ففرحت فرحًا شديدًا، وسألته عنِّى فقال إنه طالما يفعل شيئًا يبتغى به وجه الله وإنقاذ نفس مؤمنة فلن يضيع الله أسرته أبدًا، ووعدها بأنه مادامت هى مسلمة ملتزمة، فلن يتخلى عنها أبدًا. واتفق معها على أن زواجهما لن يكون معلنًا للعاملين فى نفس الشركة حتى لا يجرح شعورى. وكان يقابلها كل أسبوع فى يوم الإجازة دون أن يعرف أحد. وكان زواجًا رسميًّا، بناء عليه بعث رؤساؤه فى العمل إلى السفارة أنها تزوجت وأنها باقية فى البلد لأنها مسلمة برغبتها، وعندما علم أهلها بذلك بعثوا إليها أنهم لا يريدون أن يروها مرة أخرى وألاّ تتصل بهم أبدًا. وبذلك أصبح زوجى هو كل أهلها وتعلقت به جدًا وأحبته، وكانت بالنسبة له كالعبد يأمرها فتطيع دون تفكير. وطالبها بعدم الإنجاب حتى لا ينهوا عقدها فى هذا البلد تبعًا للقانون. وبعد انتهاء عقدها حصل زوجى لها على عقد عمل فى بلد آخر ووعدها. بأنه سيزورها شهرًا أو شهرين فى السنة فى هذا البلد ـ كانت مرة منها تلك التى قال إنه ذاهب لمقابلة عمل فى هذا البلد ـ وأخبرنى أنه لما تزوجها أحس بنعمة الله عليه، أنه رزقه بى للفرق الشاسع فى العقل والطباع، وأنى أفضل منها فى كل شىء تمامًا.

نسيت أن أقول لك يا سيدى إنه فى خلال السنوات الثلاث التى أخفى عنى هذا الموضوع، كان كلما تأتى سيرة الزواج الثانى يدافع عنه بشدة، ويقول إنه ليس معنى أن الرجل يتزوج بأخرى أنه لا يحب زوجته، وأن هناك ظروفًا تستدعى أن يتزوج الرجل دون أن يكون هناك عيب فى زوجته، وكنت أرد عليه بأنه إذا أراد أن يتزوج فليفعل ولكن يطلقنى أولاً، وهذا ما كان يجعله يتردد كثيرًا فى إخبارى.
وأخبرنى أنه يعتبر إذا كانت هناك امرأة كاملة فهى أنا، رجانى ألاَّ أتركه ولا أهدم أسرتنا التى يحبها، وأن كل تصرفاته السابقة من ضيقه بوجودنا معه ورغبته فى السفر وحده كان للهروب منى، إذ كان لا يستطيع مواجهتى وهو يخفى عنِّى هذا الموضوع، وأنه حاول أكثر من مرة أن يطلقها فهددته بالانتحار، وكانت تبكى بالأيام حتى تختفى عيناها. وأنها كالطفلة جسمًا وعقلاً ولا تستطيع أن تتصرف فى أى شيء، وتنتظر حتى يأتى لها كل6 أشهر لقضاء مصالحها، من تجديد جواز السفر وعقد العمل، حتى شراء ما تحتاج إليه، وأنه ضاق بهذه المسئولية المضنية وبالمصاريف الباهظة التى يتكبدها للذهاب إليها كل ستة أشهر فى البلد الآخر، ولا يعرف كيف سينتهى هذا الموضوع، وأنه يتمنى أن تطلب هى الطلاق لا أن يطلقها هو، فتنتحر أو ترجع إلى أهلها فيردونها عن دينها ويتحمل هو ذنب ذلك ويضيع مجهوده وتضحيته التى ضحاها من أجل ثباتها على الإسلام. ويطالبنى كذلك

بأن أتحمل معه وأنى سأوجر على تثبيتى مسلمة على الإسلام، وكل إنسان لابد له من ابتلاء، وأن هذا ابتلاؤنا. نسيت أن أخبرك أنى مستقلة ماديًا عن زوجى ولن يضيرنى انفصالى عنه ماديًا.

لا أتصور كيف للإنسان الذى أحببته أن يجرحنى بكل هذه القسوة، رغم أنى باعترافه لم أقصر معه فى أى شيء، ويخدعنى كل هذه السنين باسم الدين، فهل الدين يبيح الغش والخداع، ماذا أفعل يا سيدي؟ لا أستطيع أن أتحمل زوجى الذى أحبه بين ذراعى امرأة أخري؟ وما ذنبى أن أتحمل ذلك وأنا لم أجرحه يومًا؟ فماذا أفعل؟ هو يعرض على أن يعطينى أى شيء أريده حتى أمواله، على ألاّ أتركه لأنه كما يقول لا يستطيع العيش بدونى وأنى عماد حياته وأهم شيء فيها.

* * *

سيدتى : أقدر مشاعرك الغاضبة، وألتمس لك الأعذار فى الإحساس بالإهانة، فما أصعب على الإنسان من اكتشاف أنه كان مخدوعًا لسنوات من أقرب الناس إليه. ولكن لو جنبنا غضبك مؤقتًا - فالغضب مثل النار يأكل بعضها بعضًا ثم تخمد - وقررنا أن ننظر إلى الواقع بهدوء فسنجد أمامنا خيارين، الأول أن زوجك كاذب، وأنه تزوج بتلك المرأة لرغبة فيها أو لأسباب أخرى غير نجاحه فى اعتناقها الإسلام، وأنه يحميها من نفسها وأهلها، فى هذه الحالة فعل الجائز شرعًا، بأن تزوج بأخرى، فالحلال يؤتى منه المستطاع، وأن يفعل ذلك

خيرًا من ارتكاب معصية. وفى هذه الحالة من حقك أيضًا إذا كنت تستشعرين الضرر، ولا تطيقين الحياة معه، وتتحملين عواقب الانفصال، أن تطلبى الطلاق.

أما الاحتمال الثانى ـ وهو الأرجح ـ أن زوجك صادق فيما قص عليك، بدليل بكائه بين يديك ـ وتحمله الغياب عنها طويلاً، ولو كان مولعًا ومغرمًا بها ما استطاع تحمل الغياب عنها كل هذه الشهور، فلو نظرنا إلى الواقع من هذه الزاوية، ألا تتسامحين معه قليلاً، وتلتمسين له بعض المبررات، خصوصًا أنك وقتها لن تشعرى بأنه فضل عليك امرأة أخرى، أو أنك موضع مقارنة معها، وحتى تستريحى لهذه النقطة احتسبى تصديقك له عند الله سبحانه وتعالى وعليه أن يتحمل وزره لو كان كاذبًا.

سيدتى.. إن البحث فى الفضائل يقضى على الضغائن، وما حملته سطور رسالتك يكشف عن جوانب إيجابية كثيرة فى علاقتكما، وبينكما ثلاثة من الأطفال، وشراكة طيبة فيها كفاح وتحد، كل هذا فى مواجهة زيجة لو صدق الزوج فى روايته، لن يكتب لها الاستمرار، واستمرارها لن ينعكس على حياتكما، فلا تكدرى صفو حياتك، فكم من عواصف تهز الأغصان ولا تقتلع الأشجار، وشجرة عائلتك أبقى وتستحق منك تحمل نوائب الأيام. وإلى لقاء بإذن الله.

باب الحلال

فى رسالة الحب القديم، التى تشكو صاحبتها من اعتراض أهلها على زواجها من رجل متزوج بأخرى، بعد طلاقها من زوجها الأول، بالرغم من عدم اعتراض زوجة هذا الرجل على ذلك، لفت نظرى فى حديث صاحبة الرسالة عبارة وجهتها إليكم بصيغة الرجاء فى آخر رسالتها تقول: لا تغلق فى وجهى الباب الحلال، والحقيقة أن هذه العبارة تستدعى للأذهان الحالات العديدة للزيجات الفاشلة، وتستوجب على المجتمع أن يواجه نفسه بصراحة ويفتح باب الحوار حول موضوع ظل زمنًا طويلاً ينظر له نظرة استنكار ورفض، يصل إلى حد التحريم والتجريم برغم أن المولى سبحانه وتعالى قد شرعه وأحله ألا وهو موضوع الزواج الثانى.

أقول: إن المجتمع يجب أن يغير نظرته تجاه هذا الموضوع، ليس من أجل منافع مادية للرجل على حساب مشاعر زوجته، كما قد يتبادر لذهن كثير من النساء لأول وهلة، ولكن أطرح هذا الموضوع للمناقشة

كعلاج شرعى وقانونى لآلاف الحالات الموجودة بالمجتمع، والتى تمثل نظرة المجتمع هذه حجر عثرة أمام حلها، ولنضرب بعض الأمثلة من واقع الحياة فى مجتمعنا، لنتعرف على حجم المشكلات التى يمكن علاجها لو أبدت الزوجات روح التسامح والإيثار ومد يد العون لأخواتهن من النساء وأيضًا لأزواجهن فى بعض الأحيان.

أولاً: انتشرت فى مجتمعنا حالات العنوسة بنسبة كبيرة بين الفتيات، كما أظهرت ذلك الأبحاث الميدانية والاحصاءات الرسمية، وكما قرأنا فى بعض رسائل البريد، وأنا أدعو الزوجة التى ترفض فكرة الزواج الثانى أن تضع نفسها ـ فرضًا ـ مكان هذه الفتاة التى وصلت إلى سن الخامسة والثلاثين، أو الأربعين دون زواج، ألن تحدث نفسها بأن تقبل زوجًا تشاركها فيه أخرى برضاها، أفضل من بقائها باقى حياتها دون زوج يؤنس وحدتها ويعوضها بعض الشيء عن أهلها، الذين استقل كل منهم بحياته، وأقول برضاها بافتراض أن نظرة المجتمع عمومًا قد تغيرت، كما أنه لا يعقل أن نحل مشكلة ونوجد أخرى.

ثانيًا: تقوم الكثير من المؤسسات الخيرية برعاية الأرامل، اللاتى فقدن أزواجهن لأسباب مختلفة، وفقدن معه العائل الوحيد لهن ولأولادهن، وأنا أسأل الزوجة التى ترفض فكرة الزواج الثانى، هل إذا قبلت أن يكون زوجك القادر ماديًا أبًا بديلاً لأولاد هذه الأرملة، وأن يدخل السرور عليها وعلى أولادها، خصوصًا إذا كان لها صلة

رحم بك أو بزوجك؟ وأن يكون هذا الوضع بغير مَنٍّ أو إيذاء بل فى إطار شرعى يحفظ لها كرامتها وأولادها؟ ألا يكون حفظك لعرض أخت لك ورعاية أيتامها عن طيب نفس من عظيم الأعمال فى ميزان حسناتك عند الله؟

ثالثًا: تفيد الأبحاث الميدانية والإحصاءات الرسمية، تزايد عدد حالات الطلاق فى المجتمع لأسباب متعددة، وما يترتب على ذلك من آثار نفسية تؤثر على المرأة، خصوصًا فى مجتمع يعتبر الطلاق سبة فى وجه المرأة، وأن فرصها فى الزواج مرة أخرى قد قلَّت كثيرًا، فلماذا تصر المرأة المطلقة على أن تستأثر بزوج لها وحدها دون شريكة، وإذا أقررنا بأن إحصان المرأة من أول المقاصد الشرعية من الزواج، فلماذا لا تتسامح الزوجة وتقبل أن تشاركها أخرى فى زوجها إن كان قادرًا على النفقة عليهما والعدل بينهما؟ ولماذا تعد الزوجة هذا الأمر خيانة لها إذا لم يتخل زوجها عن بيته وزوجته وأولاده؟

رابعًا: وهى الحالات التى لا تعرف الأبحاث الميدانية والإحصاءات الرسمية لها سبيلاً، وأعتقد أنها تجاوزت خانة الآلاف الى خانة الملايين ـ سواء فى الرجال أو النساء ـ وهى الحالات التى تأكد لكل من الزوجين استحالة التفاهم بينهما، وكادت تنتهى المودة بينهما، وأيقن كل طرف منهما أنه يعيش مع الآخر حياة بلا روح ولا طعم، وفقد كل إحساس بالسعادة أو الراحة، وأصبح يؤدى ما عليه فى الحد

الأدنى منه وبدون حب أو حماسة، وتحقق الانفصال العاطفى والروحى بينهما، وأصبح كل واحد يعيش فى عالمه الخاص، وكل ما يربطهما هو رعاية الأولاد وتسيير أمور البيت فقط، وفقد الأمل فى تبدل الحال أو أن يتغير أى منهما تجاه الآخر، وفى الوقت نفسه يستسلم الطرفان لمبدأ النصيب والقضاء والقدر، ويستمران فى حياتهما الزوجية بدافع نبيل من أنفسهما، وبقدر كبير من تحمل المسئولية فقط من أجل مصلحة الأبناء، إننى أتساءل يا سيدى إذا وصلت الزوجة لهذه المرحلة وفقدت الاهتمام بزوجها والرغبة فيه وأصبح وجوده بالبيت كعدمه، أو وجوده فقط لاكتمال الشكل الاجتماعى، أو كمصدر وحيد للإنفاق عليها وعلى الأولاد، أو إذا كانت متمسكة بحياتها الزوجية خوفًا من لقب مطلقة ولسان حالها يقول أهى عيشة وخلاص، فماذا يضيرها لو قبلت بأن تشاركها فى زوجها أخرى بشرع الله؟ أليس هذا أفضل من أن يتزوج من أخرى بغير علمها أو رضاها؟ أليس ذلك أفضل من أن تسول له نفسه الوقوع فى الحرام إن كان لا يتقى الله فى نفسه وبيته؟

أحمد منتصر ـ مهندس نظم آلية

القنـاع

قرأت رسالة: الزوجة الثانية: فأثارت أحزانى وآلامى وأسالت دموعى، لا لأننى مثل صاحبتها تزوج علىَّ زوجى، وإنما لأننى تلك الأخرى التى تزوجت من رجل متزوج. له زوجة وأبناء وحياة مستقرة.

ثم قررت الكتابة إليك. برغم علمى أنكم لاتحبون مثيلاتى.

وأقول لك: إننى فى الرابعة والثلاثين من العمر، حاصلة على مؤهل متوسط. تزوجت قبل 13 عامًا من شاب طيب، عشت معه أربع سنوات أو تزيد. ترفق بى خلالها، وأحسن إلى. فتعلقت به تعلقًا شديدًا. وارتبطت به ارتباطًا وثيقًا. وامتلأ قلبى له حبًّا. وسعدت بأيامى معه ولم أتمن لحظة زوجًا غيره. لكنى للأسف لم أنجب منه فزادنى هذا تعلقًا به وأملاً فيه. فأسر أهله فى أذنه بأننى المسئولة عن عدم الإنجاب لماذا؟ لأن عمى عقيم ولابد أننى مثله، فأحدث قولهم فى نفسه أثرًا وفوجئت به، يقرر طلاقى برغم أن أحدًا من الأطباء لم يؤكد أننى عقيم. ولكنه أصم أذنه وأصر على قراره. فرفضت الذهاب

معه إلى المأذون فطلقنى غيابيًا، وانطوت هذه الصفحة من حياتى. وانكفأت على أحزانى أيامًا طوالاً، كنت أنام فيها طوال النهار وأسهر طوال الليل. حتى لا أرى أحدًا ولا يرانى أحد. وكنت أبكى بكاءً مرًا حتى أننى كنت أشعر بأن أحشائى تتقطع. وظللت على هذا ست سنوات كاملة لم يجف لى فيها دمع، وقد تقدم لخطبتى كثيرون. لكنى كنت لا أجد فى نفسى أى استعداد لأى تجربة أخرى.

وتزوج مطلقى بعد طلاقى وأنجب. وبذلك مات حلمى فى احتمال عودته إلى. ومنذ ثلاث سنوات تقدم لخطبتى رجل يكبرنى بـ 14 عامًا ويشغل مركزًا مرموقًا وتربطه بأبى صداقة قديمة، ومتزوج ولديه أبناء. فاعتذرت عن عدم قبوله. فطلب من أبى مقابلتى والتحدث إلى. ودعاه أبى لزيارتنا. وكنت أعرفه قبل ذلك ويعرفنى هو أيضًا. لكن كانت هذه هى المرة الأولى التى أتحدث إليه فيها. وسألنى عن سبب رفضى له، فأخبرته أنه له زوجة وأبناء ولا أحب أن أكون سببًا لأى شقاق أو نزاع بينهما. فأجابنى بأنه يحتاج بشدة إلى زوجة ثانية. وأن زوجته تعلم ذلك جيدًا ولا تعترض على ذلك، وأخبرنى أيضًا بأنه المسئول عن ذلك، مادام سيعدل بيننا خصوصًا أنه قادر ماديًا ولن يضار أحد. وألح علينا وكرر زيارته لنا. وأخبرنى أيضًا بأن فكرة الزواج الثانى تراوده منذ أمد. لكنه أرجأها حتى يكبر الأبناء ويتفهموا الأسباب، ثم قال لى: هل تقبلين الزواج برجل طلق زوجته وشرد

أولاده وتشعرين بالراحة والاطمئنان؟ ولا تقبلين أن تكونى زوجة ثانية لرجل يحاول الحفاظ على كيان أسرته وعدم ضياعها؟ وحاصرنى بكلام كثير من هذا النوع. خصوصًا أن الشرع لا يمنع ذلك.

وقد استفاض فى الحديث عن أحكام الشرع الحنيف فى هذا الشأن، وصدقته ووثقت به خصوصًا أنه: أستاذ بإحدى كليات جامعة الأزهر العريقة.

وقد ألمح لى برغبته الصادقة فى. فأيقظ فى أحاسيس كنت أظنها قد ماتت. ووافقت عليه، وقررت أنا وأبى ألاَّ نثقل عليه بأية أعباء مادية. بل رفضنا أن يحرر لى قائمة أثاث. وقام أبى بتجهيزى بما استطاع. حتى أن الشقة التى تزوجنا فيها كانت ملكًا لأبى. لكنه كان وضعًا مؤقتًا، حتى يدبر أمره ويوفر لى شقة فى أقرب وقت.

وبدأت حياتى معه. وعاملنى بشىء من الرقة فألفه قلبى، ومع مرور الأيام اعتدته فى حياتى. لكن وآه من لكن هذه، فقد بدأ الواقع يفرض نفسه وهو أن زوجى هذا زوج وأب وله حياة أخرى. وعلىَّ أنا الزوجة الثانية أن أتحمل غيابه وبعده عنى، وأن أتحامل على نفسى وأتنازل عن جزء من حقوقى إن لم يكن كلها. وكلما تنازلت عن حق طولبت بالتنازل عن آخر. حتى أصبحت فى حياة زوجى مواطنة من الدرجة العاشرة. وأصبحت وكأننى أتسول منه حقوقى. وبمرور الوقت ازداد زوجى تباعدًا عنِّى وازددت أنا احتياجًا إليه. وبدأت

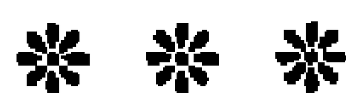
أتطلع وأترقب حدوث الحمل حتى أنشغل به عن كل شيء لكنه للأسف لم يحدث. فأصبت بالاكتئاب وزارتنى الأحزان مرة أخرى، وأصبحت أبكى ليل نهار، حتى كادت تختفى عيناى. مع أننى وأقسم بالله لم أحاول أن أثقل كاهله بمتطلباتى، حتى أن الشقة التى وعدنا بإحضارها فى أقرب وقت، لم يف بوعده معنا بشأنها. وكنت أستحيى أن أطالبه بها صراحة. واكتفى بالتلميح كل حين، حتى جاء يوم علمت من غيره وليس منه بأنه انتقل بزوجته وأولاده إلى شقة فاخرة بحى راق قريب من مكان عمله. فكان تصرفه هذا كفيلاً بأن أقلب الدنيا رأسًا على عقب. وهنا طالبته صراحة بأن يوفر لى أنا الأخرى شقة. ولتكن فى أى مكان. فماطل كثيرًا ووعد أكثر، حتى ضقت ذرعًا به وبوضعى المخزى معه، وطالبته بطلاقى وتسريحى بإحسان، فرفض وثار على ثورة عارمة لا أفهم مبررها حتى الآن. واتهمنى بالجحود وأننى أريد الإساءة إليه والتشهير به أمام الناس، وأننى أطالبه بالطلاق لا لشيء إلاّ أننى قد اعتدت الطلاق. وذكرنى بأنه الزوج الثانى لى. وأن طلاقى مرة أخرى ليس فى صالحى نهائيًا. وسوف يدمرنى أمام الناس. وآلمنى بشدة ما سمعته منه. بل ذكرنى بالحديث النبوى الشريف:الذى أخبرنا فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا فى غير ما بأس حرام عليها رائحة الجنة. فصمت صمتًا أشبه بالخرس وتساءلت: أتحرم على الجنة بعدما حرمت

من نعيم الدنيا. فلا زوج لى آنس به وإليه وأشعر بحنوه على. ولا يتحمل عنى أية مسئولية، بل تركها على أهلى تمامًا. ولا أطفال أرى فيهم امتدادى وأمارس معهم أمومتى. وانشغل بهم عنه. وأصبحت أشعر بوحدة قاتلة. برغم وجودى وسط أبى وأمى وإخوتى. وتركت زوجى نهائيًا ولم أعد أطالبه بشيء. لا بزيارتى. ولا بالسؤال عنى، حتى بدا وكأنه نسينى تمامًا. وكلما اشتقت إليه اتصلت به تليفونيا أبثه أشواقى. ويعدنى هو بتحسن الوضع ولكن هيهات. وفى يوم ذكرته بالشرع وأن الله لايرضى عن ذلك.. فإما أن أكون زوجة كاملة. وإما ألاَّ أكون نهائيًا. فأجابنى بأنه يعلم الشرع جيِّدا، بل ويعلمه لكثير من الناس. وإلى هنا قررت ألاَّ أتصل به مرة أخرى. وانتهت بى الحال الآن: أن تركت شقتى وعدت إلى بيت أبى ولكن هذه المرة معلقة لا مطلقة. وقد أوشكت على إتمام عامين على هذا الوضع، ويبدو أن زوجى قد استراح لهذا الوضع. فلم يعد يسأل عنِّى، بل لم يعد يعلم عنى أى شيء.

سيدى: أنا أعلم يقينًا أن زوجى يبكى الآن بين يدى زوجته، ويخبرها بأنه أحس بإنعام الله عليه بها. ويقسم لها بأنه قد علم قدرها جيِّدا. ولا يستطيع الاستغناء عنها هى وأولاده، ويطالبها بالصفح عنه والصبر عليه حتى يستطيع التخلص من تلك الأخرى الجاثمة فوق صدره. إلى آخر القصة إياها. وبرغم علمى بكل ذلك فإننى بالفعل

لا أجرؤ على إصرارى بطلب الطلاق، لأننى لا أقوى على تحمل تبعاته مرة أخرى. برغم أننى كنت ومازلت مكرمة لدى أبى وأمى، فقل لى ياسيدى: لماذا يرتدى الرجل ـ أى رجل ـ قناع البطولة ويحاول بشتى الطرق إقناع الجميع بأنه بمقدوره فعل كل شىء؟ حتى إذا ما وجد تلك المرأة التى اضطرتها الظروف لأن تكون فى هذا الوضع سقط ذلك القناع، ثم يحاول بعد ذلك أن يضيِّع تلك المرأة نفسها بكل ما أوتى من قوة فما ذنبى أنا؟

لقد جعلنى زوجى أظهر أمام الناس وكأننى سارقة. سرقته من زوجته وأولاده. لكن السماء قد انتصرت لها. وأعادته إلى حضنها. ونلت أنا جزائى بما أصبحت فيه. لذلك، فلن أسامحه أبدًا ما حييت. وقد سلمت أمرى فيه إلى الله. وأشكوه إليه ليل نهار. فهو سبحانه ملاذى. وحسبى الله ونعم الوكيل.



سيدتى : أنت الوجه الآخر لمشكلة الزواج الثانى، الوجه الأول للرجل الذى يتحدث دائمًا عن حقه الشرعى فى تعدد الزوجات، وكأنه يراعى الشرع فى كل شىء ولم يبق لاكتماله سوى الزوجة الثانية، ويكمل هذا الوجه صورة الزوجة الأولى، التى شاركته سنوات الكفاح، واستمتع بأحلى سنين عمرها، وعندما استقر ماديًا، بدأ ينقب

فى عيوبها، ويشعر بأنه منحها الكثير، فيلتحف بالشرع، تاركًا خلفه ضحية من زوجة وأبناء.أما أنت فقد جئت بكلماتك لترسمى صورة امرأة الظل، الزوجة الثانية، التى يذهب إليها الرجل، ناضجًا، متسلحًا بكل أدوات الإقناع، مرتديًا قناع الصدق والحاجة، مستغلاً نقاط الضعف فى فريسته، مطلقة شابة، فتاة فاتها قطار الزواج، فقر مادى، وغيرها مما يسهل له الدخول إلى مغامرة جديدة، يثبت لنفسه أنه مازال قادرًا على اقتناص زوجة صغيرة، تعيد إليه شبابه الراحل، وما إن يستقر ويمتلك من أراد، يعود إلى عمره الحقيقى، يكتشف أن له قدرات نفسية وجسدية لا تتلاءم مع شباب تلك الزوجة واحتياجاته، فيرتد خاسئًا مهزومًا إلى تاريخه القديم، موقنًا أنه قادر على استعادتها، بما يمثله المجتمع من ضغوط على المرأة فى مواجهة الطلاق، وبما تجنح إليه المرأة العربية بطبيعتها فى الحفاظ على الصورة الاجتماعية من أجل الأبناء والأهل، متجاهلاً أنه ترك خلفه امرأة أخرى هدم حياتها ووصمها بأنها زوجة ثانية خطافة الأزواج، هادمة البيوت المستقرة.

هذه الصورة لا تنطبق - بالطبع - على كل من تزوج بامرأة ثانية، فهناك حالات ضرورية تبيح لبعض الرجال الزواج بأخرى، وهى تلك الحالات التى أباح من أجلها الشرع تعدد الزوجات.

أما الصورة فتنطبق تمامًا على زوجك، الذى يرفض تسريحك بإحسان، إلاّ إذا كان فى الحكاية وجه آخر أخفيته تأكيدًا لوجهة نظرك.

سيدتى.. حسب ما جاء فى رسالتك، ماارتكبه زوجك فى حقك جرم سيحاسب عليه أمام الله سبحانه وتعالى، وإن كنت لا أبرئك تمامًا من الخطأ.. لأنه قد يكون من المقبول اندفاع فتاة فى تجربتها الأولى بحكم صغر السن والجهل بالحياة، ولكن امرأة مثلك تعرف جيِّدا احتمالات الفشل فى مثل هذه الزيجة، كان عليك أن تتيقنى جيِّدا - أنت وأسرتك - من كل ما قاله لكم عن زوجته الأولى، حتى لو اضطررت إلى الذهاب إليها وسؤالها، ولكن من يتزوج على عجل يندم على مهل.

أتمنى على زوجك أن يطلق سراحك، ولا تندفعى إلى زيجة أخرى، إلاّ بعد توافر كل ضمانات النجاح، ففى أيامنا هذه مع كل الضمانات تفشل زيجات، فما بالك بمثل هذا الاختيار الناقص. وإلى لقاء بإذن الله.

الظواهر الكريهة

أنا من متابعات بريدك الأسبوعى، منذ أيام الكاتب الراحل عبدالوهاب مطاوع. ألاحظ أن الكثير من رسائل بريد الجمعة يدور حول زوجة محبة لزوجها تشكوه لأنه تزوج عليها، مع أنها تتعدد فى وصف مفاتنها ومحاسنها ومميزاتها. أو زوج يبرر أسباب زواجه على زوجته لأنها لا تجاريه فى الفراش أو لا تتجاوب معه، وهو الفحل الذى لايبارى وليس له نظير فى العلاقات الجنسية، لذلك يضطر آسفًا ورغم حبه الشديد لزوجته الأولى الوفية المخلصة التى تتقى الله فيه أن يمارس حقه الشرعى الذى حلله له الله عز وجل ويتزوج بامرأة أخرى.

وعلى جانب آخر تأتى الزوجة الثانية بدورها لتشتكى همها هى الأخرى، بأنها تكرمت وتعطفت ورضيت بأن تكون الزوجة الثانية بمعنى أن تصبح نصف زوجة لها نصف الحقوق، بدلاً من حقوق الزوجة الكاملة، ومع ذلك لا يعطيها زوجها التى ضحت وتزوجته ولا ربع هذه الحقوق، مع إعطاء كل وقته لزوجته الأولى وأولاده منها التى استطاعت بأساليبها الماكرة ودهائها أن تستحوذ عليه وحدها،

وهى الزوجة الثانية التى قبلت التضحية ـ تعيش وحيدة ومنكسرة وذليلة.

ثم تأتى امرأة أخرى أو حالة أخرى لفتاة لم تتزوج بعد طبعًا بسبب الأزمة الاقتصادية الطاحنة وعدم حصول الشباب المسكين، فتيانا وفتيات على السواء، على فرص عمل أو أى فرص أخرى فى الحياة ليكون عنصرًا فعالاً له دوره الاجتماعى، وله الحق فى أن تكون له أسرة وبيت وأولاد، وعمل، يتكسب منه بسبب النظام السياسى الفاشل فى الأساس. تأتى إحدى هؤلاء الفتيات، ضحايا هذا النظام الفاشل، لتبحث عن حل سريع لمشكلتها، ولها كل الحق فى ذلك، بأن تطلب من الزوجات أن يسمحن لأزواجهن بالزواج من زوجة ثانية حتى يسهموا فى حل المشكلة الخطيرة أى التأخر فى سن الزواج عند الفتيات، مع العلم بأن الشباب أيضًا لديهم مشكلة التأخر فى سن الزواج، ولكن العلاقات الجنسية غير المتكافئة بين الرجل والمرأة، تدعو المرأة إلى الجهر بحاجتها إلى الزواج بينما تمنع على الشاب إثارة هذه المشكلة، لسبب بسيط وهو أن الفتيان كما نعلم لديهم وسائلهم الأخرى للتنفيس عن رغباتهم الجنسية.

سيدى العزيز إن غالبية هؤلاء البشر رجالاً ونساء، هم نتاج علاقات اجتماعية غير متكافئة بين الرجل والمرأة، بل وترفض التكافؤ. إن تعدد الزوجات مهما حلله الشرع مع احترامى الشديد للشرع، مع

التحفظ على العديد من التفسيرات والاجتهادات من قبل علماء الدين الرجال، والذين يفسرون الشرع حسب مايناسب أهواءهم الشخصية، فقد ظهرت ظاهرة تعدد الزوجات فى ظروف تاريخية واجتماعية فى العصور الوسطى منذ مايزيد على ألف وربعمائة سنة، ولا أود الخوض فى أسباب السماح بهذه الظاهرة فى هذه الحقبة التاريخية لأن الكل يعلمها جيدًّا! هل المفروض علينا أن تظل علاقاتنا الاجتماعية محكومة بهذه الظاهرة الخاصة جدًّا، التى لا تجدها فى أى مجتمع آخر سوى القليل جدًّا من المجتمعات الإسلامية.

فقد قام العديد من البلدان الإسلامية مثل تونس وماليزيا على سبيل المثال بإلغاء هذه الظاهرة العجيبة التى تسمى تعدد الزوجات، إننى شخصيًا أدرس الدكتوراه فى إحدى الجامعات بالخارج، وقد طلبت منِّى أستاذتى منذ عدة سنوات عمل بحث عن ظاهرة تعدد الزوجات فى مصر، وعندما توصلت إلى ان نسبة تعدد الزوجات فى مصر قليلة وهى 4٪ وتباهيت بذلك، اندهشت أستاذتى، وهى بالمناسبة يابانية، قائلة حتى لو كان 1٪ فهو عار على مصر، وعلى أى دولة تشرع هذه الظاهرة الغريبة مثله مثل ختان الإناث طبعًا. أنا أعلم أن لنا خصوصيتنا الثقافية ولكن هذه الخصوصية لاتعنى الجمود وعدم التطور الاجتماعى الذى يقودنا لإحداث نهضة فى مجالات عديدة سبقتنا إليها دول إسلامية أخرى مثل ماليزيا مثلاً.

فى رأيى أن هناك قوى سياسية من مصلحتها أن يغرق الشعب المصرى العظيم والمبدع فى تلك المناقشات والظواهر العقيم التى تعوقه عن التفكير فى مشاكله السياسية والاجتماعية والثقافية، من مصلحة هذه القوى أن يبقى الشعب المصرى جاهلاً عاجزًا حتى يعطى الحجة للمسئولين بأن يمنعوا عنه أبسط الحقوق للعيش بصورة كريمة بحجة الجهل والعجز. وما إغراقنا فى هذه الظواهر الكريهة إلاّ إحدى الوسائل لتعجيز هذا الشعب عن مواكبة حركة التقدم التى سبقته إليها شعوب كانت أقل منه فى الماضى.

سيدى العزيز إن المعجزات التى تحققها الشعوب تأتى أولاً عن طريق تحقيق التطور والنهضة الاجتماعية. أعلم أنه يصعب عليك نشر تلك الرسالة، ولكننى أتمنى أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه أى مصرى أن يعبر عن رأيه بحرية حتى على صفحات ما يسمى بالصحف الحكومية.

نجلاء فتحى ـ كندا

* * *

سيدتى : هاهى رسالتك فى صحيفة تسمى حكومية، ويبدو أنك لاتتابعين جيِّدا تلك الصحف، لأنك لو فعلت لوجدت هامشًا ـ ليس قليلاً ـ من الحرية يسمح بالرأى الآخر. أما عن أزمة الزواج

الثانى، فدعينى أختلف معك فى بعض ماجاء فى رسالتك، مع كامل احترامى لرأيك، فالزواج الثانى حسب الدراسة التى أجريتها لايمكن اعتباره ظاهرة فى المجتمع المصرى أو ظاهرة كريهة، ولا يمكن كذلك قبول تناقض التطور الاجتماعى لأى مجتمع مع ماشرعه الله، نعم إساءة استخدام الشرع تعوق التطور، ولكن هذا ليس عيبًا فى التشريع، ولكن العيب فيمن يحرفه أو يسيء استخدامه. فالشرع عندما أباح الزواج الثانى وضع له ضوابط، وإلاّ كان ظاهرة فعلاً فى كل المجتمعات الإسلامية.

كما أن بعض الدول التى منعته بقانون، تعانى ـ دون تعميم ـ من انتشار جريمة الزنا، ويكفى القول بأنه عند ضبط رجل مع امرأة، يسارع بتأكيد أنها صديقته وليست زوجته لأنه لوثبت الزواج لدخل السجن فهل هذا هو الحل من وجهة نظرك؟!!

دعينى أيضًا اختلف معك فى نظرية المؤامرة ـ التى أدمناها ـ بأن هناك قوى تستهدف أن يبقى الشعب المصرى جاهلاً عاجزًا، لأن هذا التفسير يدفع للاستكانة والتسليم بالاستهداف من قوى أعظم، إن العيب فينا، فى الشعب.. بضعفه، واستغراقه فى قضايا فرعية تستنزفه وتبعده عن طريق التطور والنهضة الاجتماعية.

المشكلة ياسيدتى ليست فى الشرع، المشكلة أننا نختبيء خلفه، بينما نحاول أن نطوعه لرغباتنا، ولا نأخذ منه إلاّ مايشبعنا دون الالتفات إلى أن الشرع به مايدفعنا نحو العمل والتقدم، ولكننا لا نقرأه ولا نراه عمدا!!

احذروا أيها الرجال

فكرت كثيرًا قبل أن أكتب هذا التحذير، ولكن وجدت أن من الواجب على أن أنبه جنس الرجال من المحظور الذى قد يقضى عليهم مبكرًا.

هذا تحذير لكل رجل يفكر فى أن يتزوج بعد سن الـ 50 وبزوجة ثانية خصوصًا إذا كانت تصغره.

قد يفكر الرجل فى هذا الزواج نتيجة للملل الذى يصيب حياته الزوجية مع زوجته الأولى، وربما تكون هذه الزوجه تقدر بالملايين.

لكن أنانية الرجل إذا كان فى صحة جيِّدة، تحرضه على أن يثبت رجولته مرة أخرى، أمام نفسه وأمام الناس، متناسيًا أن الزوجة أيضًا يصيبها الملل والزهق لكنها بطبيعتها الحنون والهادئة لاتظهر ذلك، ولكنها تستمر فى العطاء للبيت والزوج الأولاد.

فأنا ياسيدى أقدمت على هذه الخطوة منذ 5 سنوات، وكنت فى الخامسة والخمسين من عمرى، ولم أعر زوجتى وأولادى أى اهتمام لما أصابهم من الحزن والصدمة.

لم أكن أرى سوى هذه الزوجة الجديدة الجميلة الشابة(30 سنة)، لأسعد نفسى بطريقة حلال ولايحاسبنى الله على ذلك، فأنا أملك المال والصحة وأنا ومن بعدى الطوفان، وأظهرت لى الحب الزائد وأمنيتها فى الاقتران بى لتقضى على أحزانها مع زوجها الأول.

وأفصحت لى أن ليس لفارق السن أى أهمية، وأنها تحبنى لشخصى وشهامتى معها، حيث أنصفتها كثيرًا فى مشاكلها على زوجها السابق، وتم الزواج وفوجئت أني أستردت ما بلى من صحتى، وكانت علاقتى معها كشاب فى الثلاثين. وكنت أشعر كأنى أطير فى السماء وأقبلت على كل ماهو جميل فى الدنيا.

تظن ياصديقى إلى متى استمرت هذه السعادة؟ لن تصدق ثلاثة أشهر وبعدها وقع ماوقع.

شعرت بتعب قليل فى صدرى نصحنى الطبيب على إثره بالراحة التامة من كل شيء حتى أسترد صحتى. وفى باديء الأمر تقبلت هي الوضع الجديد على الرحب والسعة، وأظهرت مدى تفانيها فى خدمتى وتلبية طلباتى.. استمرت هكذا لمدة أسبوع. ثم بدأت تبتزنى ماديًا لتعوض به مافقدته من علاقتى معها، واستجبت لكل مطالبها عسى أن يرجع الوضع إلى ما كان عليه. ثم بدأت تغير من نفسها وتكثر من خروجها من المنزل، وتتحجج بأنها تغير الجو حزنًا على وضعى الجديد (ورضيت). حتى استرددت بعض صحتى التى لم تصل إلى 10٪ من

صحتى السابقة، وبدأت تعايرنى ثم تهملنى (ورضيت) حتى لا أظهر للناس عجزى وخيبة أملى فى هذه الزيجة. وفى هذه الأثناء تذكرت زوجتى المخلصة المتواضعة التى ساندتنى طول حياتى، وكانت نور البيت لى ولأولادى، ولكن ما أنا بفاعل أصبحت عاجزًا عن التصرف، ولم أستطع أن أدير مشروعى وعملى الخاص الذى بنيته طوبة طوبة. وفوجئت فى يوم من الأيام بأحدهم يعايرنى بأنى شيخ متصاب، وأن زوجتى تجالس الشباب فى سنها يوميًا بالنادى، كأن ليس لها زوج مع أن لها طفلاً فى رعاية والدتها.. نعم هذا حقها.. حقها شاب فى مثل سنها وليس أنا. هنا أصبت بخيبة الأمل وعدم الاحترام لنفسى، لأنى لم أعرف قدرها(رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه)، وظلمت نفسى وظلمت من حولى، واغتررت بما بقى لى من صحة، وتم الانفصال بعد فضائح وقضايا بينى وبينها، ولا أجرؤ الآن أن أطلب من زوجتى السماح والعفو، وأعيش وحيدًا على أمل أن يفرج عنِّى الله هذه الكربة ويغفر لى هذه الكبوة.

أعلم أن الحياة حلو ومتاع ثم ملل وحرمان، ومن يقدر على تحدى هذا الملل والحرمان يعش حياة هادئة وسعيدة.. فمن وصل إلى هذه السن ومازال بخير، فليعلم أن الله قد من عليه من وسع ويمكن أن يكمل الحياة بالرضا بالواقع الذى يعيشه. فكل رجل يريد أن يلحق له وجبة لذيذة فى أواخر عمره دون أن ينتبه، وليعلم أن كلهن سواء

ومطالبهن سواء مادية وغير مادية ولايتنازلن عن حقهن أبدًا، وفى الغالب لن تقدر على إعطائهن حقوقهن، وستنال ما نلته أنا وهذا حالنا يامعشر الرجال، نغتر بالصحة والمال، ولانعمل حساب يوم تزول الصحة والمال وزوال الصحة أمر لابد منه.

فكر كثيرًا، وأرض بنصيبك الذى كتبه الله لك واعمل على إسعاد أسرتك كما أسعدتك، واشغل نفسك برياضة خفيفة بحب الأحفاد والتقرب إلى الله لعبادته فهذا هو الأبقى والأنفع.

د. م. م

نوافذ الاشتهاء

أنا رجل أعمال، عمري45 عامًا، لدى شركة تجارية كونتها بعد عناء شديد، فقد كنت موظفًا لسنوات طويلة، إلى أن تمكنت من تحويل مسار حياتى، وعشت سنوات هنيئة إلى أن حدث ما عكر صفو أيامى، وجعلنى لا أشعر بالراحة، على الرغم من أنى أمتلك كل مبررات السعادة، وأريد أن أريح ضميرى وأتأكد أن ما أفعله ليس خطأ أو حرامًا.

تزوجت ـ يا سيدى ـ منذ سنوات قليلة، بعد قصة حب مع فتاة متدينة، ومن أسرة طيبة، وبرغم أنها تصغرنى بأكثر من عشر سنوات، ووضع عائلتها المادى أفضل من عائلتى، فإنها وقفت بجانبى فى وجه معارضة أهلها وأصرت على الزواج بى، ومشاركتى رحلة الكفاح. وهذه حقائق لا أستطيع إنكارها أو تجاهلها، فأنا أعرف الله وأخشاه وأراعيه فى كل تصرفاتى.

بعد زواجنا بقليل، وبعد حوار طويل بينى وبين زوجتي، قررت أن أستقيل من وظيفتى الحكومية، وببعض المال الذى كان معى

وبمساعدة زوجتى، افتتحت مشروعًا صغيرًا بدأ يكبر مع الأيام، فكنت أسجد لربى الذى وهبنى زوجة متدينة، رائعة الجمال، وأفاض على من رزقه، ولم يكن يؤلمنا أو يهدد سعادتنا سوى تأخر الإنجاب، وبعد تردد طويل على الأطباء لم يكن أمامنا إلا اللجوء إلى الحقن المجهرى، اختصارا للوقت، لأن الطبيب كشف لى أن لدى مشكلة تجعل احتمالات الحمل الطبيعى محدودة. وشاء الله العلى القدير أن تنجب زوجتى ثلاثة توائم.

طرنا من السعادة، واعتبرت أن هؤلاء الأطفال رسالة من الله سبحانه وتعالى تؤكد رضاءه عنى، واصلت عملى ليلاً ونهارًا، وانشغلت زوجتى بأطفالنا، وكنت أشفق عليها من العناء الذى تلاقيه،فتربية ثلاثة توائم شيء مؤلم ومرهق، لاتنام إلاّ نادرًا، أهملت فى نفسها حتى زاد وزنها، وتوارى جمالها، وانقطع الحوار بيننا لمدة تقترب من العامين، كما انقطعت هى الأخرى عن العالم، وأوقفت دراستها العليا، وأصبحت أكثر عصبية، ولكنى تفهمت كل ذلك، وتحملت انقطاعها عنى، لأنى كنت أعذرها، فلم أكن أتحمل بكاء الأطفال الثلاثة فى وقت واحد، بل كنت أفر من البيت، وأقضى أغلب الوقت فى شركتى، تخفيفًا عنها ولإراحة أعصابى. حدث فى هذا الوقت أن توفى أحد أصدقائى، وترك أرملة وطفلين، صدمنى الفراق، وعاهدت الله أن أرعى أسرته، وطلبت من زوجتى أن تهتم بأرملة صديقى، ففعلت

بكل الحب، بل صارتا صديقتين، وأصبحت تلك الأرملة واحدة من العائلة، تقضى أغلب يومها معنا فى البيت، بل كانت أحيانا تمر عليَّ فى الشركة وتجلس معى، إلى أن فاجأتنى ذات يوم، وطلبت منى أن تشاركنى بما ورثته من زوجها الراحل، حتى تؤمن مستقبل ابنيها، فعرضت الأمر على زوجتى، فرحبت على الفور، بل بادرت بالاتصال بها وأخبرتها بموافقتنا على اقتراحها.

سيدى.. كان كل شيء يسير طبيعيًّا إلى أن حدث ما لم أكن أتوقعه أو مستعدًا له.. لقد شعرت بميل تجاه تلك المرأة، نعم كنت أفكر فيها، وأفتقدها، بل كنت أتمناها، والحقيقة كنت أحس الشيء نفسه من نظرات عينيها، خصوصًا أن شراكتنا جعلتها تتردد على فى الشركة كثيرًا، مما سمح بحوار مختلف افتقدته كثيرًا مع زوجتى التى تختفى خلف نقاب فرضته عليها منذ بداية زواجنا حتى أخفى جمالها عن العيون. وحتى لا أطيل عليك فى التفاصيل، تزوجت هذه المرأة عرفيًّا، ولا أقصد بالزواج العرفى هو الاكتفاء بشاهدين، بل عرف أهل زوجتى الثانية بالأمر، ولكنى آثرت إخفاء الأمر على زوجتى الأولى وأهلها حتى لا أوذى مشاعرها أو أهدم البيت. كنت عادلاً بين الاثنتين قدر استطاعتى، خصوصًا بعد أن استعادت أم أولادى رشاقتها، وبدأت تهتم بمظهرها وبى مرة أخرى، وإن كان اهتمامها بالأولاد أكثر. لم أشعر أنى ارتكبت جريمة، فقد تزوجت وحصنت

نفسي وحميت امرأة أخرى، وكان كل شيء فى حياتنا يسير طبيعيًا، إلى أن زارتنى أم أولادى فى مكتبى فجأة، وشاهدتنى أنا وزوجتى فى وضع لا تسمح به العلاقة كما تعرفها، فثارت وغضبت وانفجرت فى وجهى، وسبت صديقتها واتهمتها بالخيانة وانصرفت. فى المساء عدت إلى البيت، وتحدثت إليها برفق ولين، وقلت لها إنى أخشى الله وأريد أن أتزوج هذه المرأة لأنى أميل إليها، فانفعلت واتهمتنى بالخيانة، وبأنى خدعتها، ونسيت معاناتها، واستغللت انشغالها بالأبناء، وأقمت علاقة مع أرملة صديقى، التى دخلت بيتها، ولم تراع الصداقة. ثم قالت لى فى حسم: عليك الاختيار، إما أنا والأطفال الثلاثة، وإما هذه المرأة.. بدون تفكير قلت لها: طبعا أنتم، فطلبت منى أن أنهى الشركة مع هذه المرأة وأن نقطع علاقتنا بها. نفذت - يا سيدى - ما طلبته زوجتى، حتى لا أهدم البيت، فأنا لا أستطيع الاستغناء عن أطفالى، كما لا أنسى لها مواقفها معى، وقلت لنفسى، لقد استمرت حياتى مع زوجتى الثانية ثلاث سنوات بدون أن تعرف الأولى، فلماذا لا أحافظ على هذه الصيغة، أبقى على الاثنتين، وتسير حياتنا كما كانت.

أُنهيت شراكتى مع زوجتى الثانية بعد أن أفهمتها ما حدث، وفتحت لها شركة منفصلة بنفس اسمها، وقررنا ألاّ نلتقى فى أماكن قد يرانا فيها أحد من أهل أم أولادى. أحس بغضب شديد من أم أولادى لأنها حرمتنى مما حلله الله، ولم تأتمر بأمرى، ولم تستجب لقول الرسول

عليه الصلاة والسلام بأنه **«لو أمر أحدًا بالسجود لغير الله لأمر المرأة بالسجود لزوجها»**.

عافتها نفسى، فلم أقربها منذ هذا اليوم، ما يقرب من عامين لا توجد بيننا أية علاقة، قلت إن هذا تأديب لها، ربما ترتدع وتوافقنى على إعلان زواجى ـ الذى لا تعرفه ـ ولكنها صامدة صمودًا يستفزنى. فكرت فى تطليقها، ولكنى لن أقبل أن تدخل على أبنائى رجلاً آخر، كما إنى باق على ذكريات جميلة بيننا.

سيدى: أناشدك أن تخاطب كل امرأة، لا تعرف مصلحتها مثل زوجتى، ألاّ تحرم ما أحله الله، ولا تمنع زوجها من الزواج بأخرى، إذا وجد فى نفسه هوى، فما شاع فى مجتمعاتنا من خيانات وخطايا سببه ثقافة مستوردة تجعل الزواج الثانى، وكأنه رجس من عمل الشيطان، وبدلاً من أن يسهمن فى إقامة شرع الله، يسهمن بجهلهن فى هدم بيوت قائمة مستقرة.

* * *

سيدى : لتسمح لى أن أناشدك أنت، وأناشد كل رجل يفكر بنفس طريقة تفكيرك، ألاّ يمتهن الشرع ويطوعه وفق أهوائه، فيختار منه ما يبرر به أخطاءه، ويتجاهل ما يلزمه بحقوق تجاه الآخر. لقد أبحت لنفسك كل شيء، ولم تمنح أم أولادك أى حق إنسانى، وتذكرت

فقط حقوقك المشروعة، أما هى، فامرأة ضعيفة، عليها أن تحمد الله لأنه رزقها زوجًا مثلك، بل لو كان جائزًا لطالبتها بالسجود لك، ولكن لأنها خيرتك بين البقاء معها أو الذهاب لأخرى. وافقت ظاهريا على شروطها وأمعنت فى إيذائها بالتمنع عليها وكأنك تحرمها من منحة وليس من فرض عليك مادمت قادرًا.

قرأت رسالتك مرتين، لعلى أجد فى سطورها ما يدين زوجتك، فوجدتها امرأة صغيرة السن، جميلة، متدينة، متعلمة، تحدت أهلها لتتزوج بك، متحملة فقرك، وفارق العمر الكبير بينكما، بل شاركتك أيضًا بمالها لتقيم مشروعك الخاص. ارتدت النقاب بناء على رغبتك، عاملتك بما يرضى الله، وحملت بالحقن المجهرى، وفقدت بعض جمالها وأهملت نفسها، وزاد وزنها، لأنها تفرغت لرعاية ثلاثة أطفال فى عمر واحد، ولو تعرف معاناة المرأة فى رعاية طفل واحد، خصوصًا المولود الأول، لجلست تحت قدميها، ولكنك اكتفيت بالتأسى على حالها، دون أية محاولة لمساعدتها أو التخفيف عنها.

سيدى: بدلاً من مكافأة زوجتك على أنها تفرغت لأبنائك، وتركتك تواصل نجاحك، كنت تحوم حول أرملة صديقك، أدخلتها بيتك، وجعلتها صديقة لزوجتك الطيبة، بينما تركت نوافذ الاشتهاء مشرعة فى قلبك وعينيك، لم تفكر للحظة لماذا تظلم زوجتك، كل ما فكرت فيه هو أن تتزوج هذه المرأة عرفيًا، ولن أتحدث معك فى

مشروعية هذا النوع من الزواج، ولكنى سأستعين بها وقر فى قلب زوجتك، عندما شاهدتها معك فى المكتب، ألم تكونا معرضين لمثل هذا الظن ممن لايعرف أنكما متزوجان؟! وبدلاً من مراجعة نفسك ومحاولة إرضاء زوجتك، وصل بك التجبر إلى الامتناع عنها. عامان يارجل لاتقرب زوجتك، أى ظلم هذا؟

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

هكذا تحدث الشاعر طرفة بن العبد وكأنه يصف إحساس زوجتك، تتحدث عن العدل وأنت غارق فى الظلم. لاتعانى أى حرمان، تستمتع بحقوقك مع زوجتك الثانية، أما تلك المرأة، الأم، الحبيبة فليس لها أى حقوق.

سيدى، ليس من حقك أن تتزوج بأخرى، فتعدد الزوجات ليس حقًا وإنما مباح - كما شرح لى العالم الأزهرى الدكتور مبروك عطية- والإباحة لاتقتضى الوجوب. أيضًا ليس من حقك أن تصادر حق زوجتك فى الاستمرار معك أو الانفصال، فلو أحست بضرر نفسى أو بدنى لها أن تطلب الطلاق، واقرأ معى تلك الآيات القرآنية: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

ثم أنت تستشهد بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى وجوب طاعة المرأة لزوجها، ألم تقرأ وصاياه الأخرى: استوصوا بالنساء خيرًا، رفقا بالقوارير اللهم إنى أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة. أى يلحق الحرج والإثم بمن ضيَّع حقهما، وأحذر من ذلك وأزجر عنه.

سيدى.. لن تستطيع أن ترد على زوجتك إذا سألتك عما لايعجبك فيها، عن تقصيرها فى حقك، فهى تعرف واجباتها ومصلحتها، لذلك لن أستطيع مناشدتها بالسماح لك بالزواج بأخرى، لأن فى نفسك هوى، فالزواج الصحيح لايقوم فقط على الهوى، وهدم البيوت لايكون استسلامًا لأوامر الهوى.

لن أناشد زوجتك، بل أناشدك أنت أن تتخلص من تلك النظرة الذكورية السائدة، وأن تكون رجلاً فى المواجهة، اذهب إلى أم أولادك واحك لها كل ما حدث، وأكد لها حرصك على وجودها فى حياتك فإذا قبلت فهذا فضل وكرم منها، أما إذا رفضت وأصرت على موقفها فعليك أن تختار قرارك بحسم، وكن عادلاً فى قرارك لأن من طلب عزًا بباطل أورثه الله ذلاً بحق.. وقاك الله ووقانا شر الذل، وإلى لقاء بإذن الله.

حبيبة زوجى

تعليقًا على رسالة نوافذ الاشتهاء، لى رأى أرجو أن تسمحوا لى بتقديمه على غرابته من وجهة نظر سيدات كثيرات.. إننى أتساءل ياسيدى ماذا بعد؟.. ماذا بعد أن يعود الرجل إلى زوجته الأولى بعد صراع من أجل إثنائه عن زواجه الثانى الذى يرغبه؟ أقول لهذه المرأة التى حاربت كى يظل زوجها معها ولا يتزوج بالأخرى ـ هل استطعنا إعادته إليك كما كان من قبل؟ هل استطعت إعادة البهجة لنفسك أو لأولادك؟.

فكرى يا سيدتى بإمعان قبل أن تجيبى بصدق، وإليكم قصتى أنا شخصيًا نموذجًا حيًا لوجهة نظرى:

لقد كنت فى يوم من الأيام فى مثل ظروف تلك الزوجة الأولى تقريبًا، ولكنه لم يهجرنى ولم يتم زواجه بالأخرى، ولكن بعد عشرة زواج 14 سنة جاءنى زوجى يخبرنى أنه يريد الزواج بأخرى يحبها منذ 3 سنوات، وأنه يريد شرع الله وحلاله ولا يريد أن يغضبه فى شىء.

لقد فكرت قليلاً وتساءلت لماذا؟ لماذا يتركنى أنا امرأته الجميلة الودود الذكية المثقفة بشهادة الجميع؟ ويرغب فى أخري؟ فى الحقيقة يا سيدى ثرت عليه وغضبت منه غضبًا شديدًا، وفى الوقت نفسه حاولت أن أغير من نفسى ولاحظ هو ذلك فقال لى: التغيير شيء لطيف، لكنى أحبك كما أنت، وسأظل أحبك، ثم وعدنى بأنه لن يفكر فى موضوع زواجه بهذه المرأة، وأنه لن يكلمها مرة أخرى ليحافظ عليَّ وعلى بيته. ومرت الأيام ولاحظت عليه أنه لم يعد كما كان، صار قليل الكلام، دائم الانشغال بالعمل، يفنى حياته فيه ويطلب رضائى ورضاء الأولاد، لكنى لم أشعر بأنه سعيد، لقد انكسر فيه شيء انكسرت بهجته وإقباله على الحياة، وقلت فى نفسى - مثل أى امرأة فى موقفى - لا يهم.. المهم أنه رجع لى ويبيت فى سريرى. ولكنى أقسم لك بأننى بعد عام على حياتنا هكذا بدأت أشعر بأننى أنا الجلاد، وأننى المخطئة فى حقه وليس هو، فقررت بعد تفكير عميق أن أقابل هذه السيدة، وهى بالمناسبة طبيبة معروفة ومشهورة ومن أصل طيب.

وبالفعل قابلتها ومعى أولادى وكان معها أولادها جلسنا فى النادى 6 ساعات تقريبًا، وأولادى يلعبون مع أولادها فى سعادة، سألتها مباشرة: ماذا لو تزوجت زوجي؟ ولماذا هو بالذات؟ وما الذى فيك وليس عندي؟و.... وكانت والشهادة لله فى منتهى العقل، لم تجرحنى بكلمة ولم تقل إنه يحبها، بل ظلت تحدثنى عن شكره فى

شخصى أنا زوجته الأولى التى ساندته وتفهمت ظروفه وأحبته وراعت الله فيه فى السر والعلن.

انتهت المقابلة وفكرت بينى وبين نفسى، زوجى الآن معى فهل أنا سعيدة؟ وهل هى حرب نخوضها وأفوز فيها أو أخسر بشخص يقيم معى وحدي؟ وهل هو يحبنى ولا يحبها فعلاً؟ وهل هو راض عن حياته هكذا؟ أخبرته باللقاء وبأننى موافقة على زواجه منها، بشرط أنى لو شعرت بإهماله لى أو تقصيره معى فسأنسحب فورًا من حياته وأطلب الطلاق. وفوجئت به غاضبًا مؤكدًا أنه نسى هذا الموضوع وأنه يحبنى، ذكرت له قصة عمى الذى رفضت زوجته بل وحاربت كى لا يتزوج بأخرى، وصبر هو وبعد ما توفاها الله تزوج بمن أحبها وصار سعيدًا، وقلت له لن أفعل بك ما فعلته زوجة عمى به.

ووافق زوجى وتخيل يا سيدى فى ليلة عقد قرانه وزفافه الثانى، جاء ليبيت معى بعد أن طلبت هى منه ذلك مراعاة لشعورى، على أن يعود إليها بعد يومين أو ثلاثة، لا أنكر أنى فى بادئ الأمر كنت أبكى وأنا أتخيله فى بيته الثانى معها، ولكن هذه الأيام مرت بسرعة وأصبح الأمر طبيعيًا.

وبدأت زوجته الثانية تسعى لصداقة حقيقية معى، وبدأت أشعر بأنها تعامل أولادى بمنتهى الحب وكأنها هى أمهم. لقد مر على هذا الزواج عام ونصف العام الآن والأمور مستقرة ولذلك أقول لصاحبة

نوافذ الاشتهاء ولكل امرأة فى مثل ظروفها: إذا كان زوجك عنده القوامة، وإنسانًا عاقلاً لا يجرى وراء نزواته فقط، وإذا كنت تحبينه بحق وتريدين حمايته من الخطأ وتحبين أن تقابليه فى الجنة، وافقى على ما يريد لأنه من الممكن أن يفعل من وراء ظهرك ما لا يحبه الله بسببك أنت، ونحن يا سيدتى لا نمتلك الرجال ملكية خاصة تصل إلى حد منعهم مما شرعه الله.

هذه وجهة نظرى وتلك تجربتى، وهناك تجارب أخرى لسيدات حولى فى الظروف نفسها. وآسفة إن كان رأيى يخالف رغبة الكثيرات.. لكنه رأيى.

زوجة لن تظل شابة

تعليقًا على رسالة نوافذ الاشتهاء أنا زوجة أعمل مع زوجى فى القطاع الخاص بنظام الدوام الكامل، أستيقظ من النوم قبله بساعة فيكون علىَّ أن أجهز الإفطار وحقيبة الطفل، وربما أنشر غسيلاً متروكًا فى الغسالة من الأمس، أو أبدا فى تجهيز الطعام وبعد أن أطعم الطفل وأغير له ملابسه وألبس أنا الأخرى قد لا يتبقى لى وقت لتناول الإفطار، فأضع أى شيء فى قطعة خبز لتمكننى من الاستمرار فى الحركة.

بينما يكون هو قد استيقظ بتكاسل من النوم، وأخذ حمامه الصباحى وارتدى ملابسه معلقًا عدم وجود قميص معين يريد أن يرتديه اليوم، ثم يشرب الشاى باستمتاع، وربما يسألنى عن زجاجة عطره المفضل، أو يطلب منِّى أن أفعل شيئًا فى مفاتيح الكهرباء القريبة من متناول يد الطفل، فى الوقت الذى أكون أنا فيه أجرى فى أنحاء المنزل باحثة عن حذاء الطفل أو عن أى أغراض أخرى، وفى النهاية نخرج إلى الشارع فألهث حاملة الطفل إلى الحضانة، بينما يكون هو متوجهًا إلى العمل.

أخرج من العمل قبلة بساعة ونصف الساعة فأذهب لشراء أغراض للمنزل أو للطعام، ثم أحضر الطفل من الحضانة لأصل إلى المنزل قبله بساعة يكون على فيها أن انتهى من إعداد الطعام وإطعام الطفل وإنهاء بعض الأعمال المنزلية.

يأتى من العمل فيغير ملابسه ريثما أجهز الغذاء، وربما يلاعب الطفل قليلاً متسائلاً عن السبب فى وجود المزهرية فى مكان يستطيع الطفل الوصول إليه، ويكون على القيام مرتين على الأقل لأحضر له ماء أو المزيد من الخبز أو الملح، وقد يعلق على طعم أحد الأصناف مؤكدا أننى لا أتبع الطريقة الصحيحة فى إعداده، أقوم من على المائدة قبله دائمًا وأنهمك فى العناية بالطفل، حتى ينام قليلاً لأبدا النصف الثانى من يومى الذى يضيع عادة فى المزيد من الأعمال المنزلية. أما هو فربما يجلس لمشاهدة التلفاز معلقًا على بعض الأحداث أو الإعلانات، وربما ينادينى وأنا فى المطبخ منهمكة فى غسيل الأطباق لأشاهد مشهدًا كوميديًا ما، ثم يقضى دقائق فى التعليق عليه وأنا أسمع صوته من بعيد فى خلفية أفكارى المزدحمة بجدول أعمالى الشاقة.

أعتقد من واقع ما رأيت وسمعت عن حال تعدد الزوجات فى مصر، أن هناك الكثير من الحالات(لم أقل معظم الحالات لأننى أحب تحرى الدقة) يكون فيها الزوج مثل الباشا زوجى، وتكون فيها الزوجة مثل النحلة التى تفنى عمرها مضحية بالكثير.

إن موضوع تعدد الزوجات من الموضوعات الشائكة التى يجب عدم مناقشتها من حيث المبدأ ـ فهو لاخلاف عليه ـ ولكن لكل حالة رأيًا، ولكل مقام مقالاً ولأن الزواج مؤسسة اجتماعية فلابد من مراعاة السياقات الاجتماعية .والظروف الخاصة فى كل حالة على حدة عند إبداء الرأى فى هذا الموضوع.

زوجة شابة لن تظل شابة طويلاً

إذلال امرأة

ذكر صاحب رسالة نوافذ الاشتهاء أنه أعجب بطريقة تفكير المرأة الأخري(الزوجة الثانية)، عندما احتك بها فى مجال العمل مرارًا واعتبره تفكيرًا متفتحًا، وبالطبع يتم ذلك التعامل وهو يرى وجهها الجميل فى حين أنه يفتقد ذلك فى زوجته المنتقبة(أم العيال) التى فعلت ذلك بناء على طلبه وإصراره. وهنا يا سيدى يظهر التناقض الصارخ، حيث وضع كاتب الرسالة زوجته الجميلة ـ على حسب اعترافه ـ فى قفص جميل، لا تخرج منه وربما أثر ذلك على طباعها وطبيعتها وأصبحت(غير منفتحة الفكر)، كما يقول مثل الزوجة الثانية. ولو أننى أشك فيما يدعيه أن زوجته الأولى غير مثقفة، فهى طالبة الدراسات العليا التى انقطعت عنها من أجله ومن أجل أولاده. فهل من المعقول أن تفقد زوجته الأولى كل هذه الميزات فجأة!؟

وهل تلام زوجته الأولى لتأخر الانجاب ومن ثم تعدد محاولات الإنجاب والجراحات المؤلمة؟ هل تلام لأنها أفنت سنوات شبابها فى خدمة زوجها وفلذات أكبادها؟ لا أرى هنا يا سيدى إلاَّ شخصية

أنانية لا تفكر إلاّ فى متعتها الحسية والمادية، شخصية كالنبات الطفيلى الذى يمتص خيرات الزروع اليافعة، يقول لسان حاله أنا ومن بعدى الطوفان، وربما ينطبق عليه ما سماه كاتبنا الراحل عبدالوهاب مطاوع، إنها حالة من البطر فقد أفاض الله على هذا الرجل بالمكانة والمال والذرية والمرأة الصالحة المتدينة الجميلة، المتفانية. فهل تراه خَرَّ لله ساجدًا شاكرًا نعمه حامدًا أناء الليل وأطراف النهار على ما جاد به عليه. لا ولكنه ظهرت عنده جينات الأنانية ويلومها لكونها رافضة زواجه من أخرى. ويعاقبها وهو المتدين والفاهم لحقوق الله(على حد زعمه) والطالب لحقوق الشرعية بالهجر عامين، والأدهى أنه يرتدى ثوب الفضيلة ورداء المصلح الاجتماعى، وينصح كل امرأة(لا تعرف مصلحتها) ولا تعرف الشرع، بأن تترك لزوجها حرية الزواج من أخرى وألاّ تعطل الحلال الذى شرعه الله.

إن الشرع لا يسمح لك بهذا الظلم والمهانة، ولا إذلال امرأة كل ذنبها أنها أحبتك وتخلت عن ذاتها وطموحاتها من أجلك ومن أجل أبنائك وأسرتكم. آخر كلماتى لهذا الرجل أذكره بأن الظلم ظلمات يوم القيامة، كفى بالمرء ظلمًا أن يضيع من يعول، فلا تضيع هذه الزوجة الرائعة وبالتالى تضيع فلذات أكبادك، كل ما تضع فيه زوجتك الأولى الكريمة من ضغوط أخشى أن يؤثر بالسلب على الأبناء، وينعكس على

حياتهم انظر إلى وجهها ووجوه أبنائك، واحمد الله على كل لحظة صحة وعافية وسعادة يمرون بها، احمد الله على ما أفاء به عليك ولا تجحد.

واسمح لى أن أرد عليك نصيحتك لكل امرأة لا تعرف مصلحتها، أرجوك اعرف أنت مصلحتك اتجه إلى الله واستغفره ولملم أسرتك حولك وبقايا زوجتك الجريحة، وتعلم شرع الله كما شرعه الله لا كما تفسره أنت على هواك. شرع الله يرفع الظلم ولا يقهر بالظلم.

أما الزوجة الثانية فأسر فى أذنيها بنصيحتى أيضًا، أنا واثقة من أنك ستجدين غيره وستوقعين به كما أوقعت بهذا المسكين، فجاذبيتك وسحرك وعقليتك الفذة ستجذب آخرين. ليس عيبًا استئناف حياتك مع رجل بعد تجربتك الأولى، سواء بالطلاق أم بموت الزوج، ولكن العيب كل العيب أن تبنى سعادتك على أشلاء ضحايا أسرة اغتالت يدك سعادتها.

أسماء عبدالعزيز

مدرسة(القاهرة)

الحلال المعيب

تابعت ماورد بعدد الأسبوع الماضى، وأقول لقد تباينت الشرائع فى مسألة التعدد، فمنها من منعته منعًا مطلقًا، ومنها من أباحته من غير قيد فى العدد أو قيد فى الزواج، بينما كانت الشريعة الإسلامية بين ذلك قواما، وهى بهذا النهج تخاطب كل الأجناس والأجيال وتخاطب المعتدل المزاج، والمعتدل فى شهوته، وتخاطب الحاد المفرط فى شهواته، وفى وسطية الشريعة ما يرضى المعتدل ويهذب المفرط، ولاريب أن الاقتصار فى هذا الزمان على واحدة هو الزواج الأمثل فى الجملة، ولكن لايرضى به إلاَّ أمثل الرجال، ومع ذلك لم تغفل الشريعة ذوى الشهوات الحادة، وإلاّ كان ذلك مبررًا لفتح باب الفساد وهو ما يأباه أولو النهى.

واتفق معك ياسيدى فى أن التعدد مباح وليس واجبًا، وليس حقًّا للرجل على إطلاقه، ولكن قيد التعدد بقيدين (أحدهما): العدل بين الزوجين فقد قال تعالي﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ وقد تضافرت أقوال المفسرين للآية على أن إباحة التعدد مقيدة بالعدالة،

وقد قال فى ذلك أبو بكر الرازى فى كتاب أحكام القرآن(أمر الله تعالى بالاقتصار على واحدة إذا خاف الجور ومجانبة العدل...)، والعدل المطلوب هو العدل الظاهر وهو القسم بين الزوجات والمساواة فى الانفاق عليهن، والمساواة فى المعاملة الظاهرة، وليس هو العدل فى المحبة الباطنة فإن ذلك لايستطيعه أحد، ولا يكلف الله نفسًا إلاّ وسعها، والعدل المنفى هنا هو العدل القلبى، ولذلك لم يطلبه سبحانه وتعالى ولم يكلف عبده به لما فيه من المشقة.

وجاء بقضاء المحكمة الدستورية العليا(... إن الله تعالى حين أذن بالتعدد، شرع ذلك لمصلحة قدرها مستجيبًا بها لأحوال النفس البشرية، فأقره فى إطار من الوسطية التى تلتزم حد الاعتدال، جاعلاً من التعدد ـ وهو ليس إلاَّ جمعًا بين أكثر من زوجة بما لايجاوز الأربع ـ حقًا لكل رجل).

كما أنه إذا كان من حق الرجل أن يتزوج بأخرى، شريطة أن يعدل، وأن يكون قادرًا على الإنفاق، إلاّ أنه ليس من العدل والإنصاف أن تجبر المرأة على البقاء على عصمة رجل لاترغبه، وهناك مقترحات تتضمن تقييد تعدد الزواج قضائيًا بالقيدين السابقين ـ العدل والقدرة على الإنفاق ـ وكان ذلك فى اللجنة التى شكلت فى أكتوبر 1926، وكان مما انتهت إليه هذه اللجنة فيما يتعلق بهذا الأمر أن تقيد رغبة الرجل فى تعدد الأزواج، فاشترطت لتزوج الرجل بأخرى ألاّ يعقد الزواج أو

يسجل إلاّ بإذن القاضى الشرعى، ومنع القضاة من الإذن لغير القادر على القيام بحسن العشرة، والإنفاق على أكثر ممن فى عصمته ومن تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه وغيرهم. وأن الزوجة إذا اشترطت فى عقد الزواج شرطًا على الزوج فيه منفعة لها ولاينافى مقاصد العقد. كأن تشترط عليه ألاّ يتزوج عليها صح الشرط ولزم وكان لها فسخ الزواج، إذا لم يف لها بالشرط، ولايسقط حقها فى طلب الفسخ إلاّ إذا أسقطته أو رضيت بمخالفة الشرط. وقد قامت ضجة شديدة حول هذا المشروع مما كان له أثره فى أن يظل هذا المشروع حبيس الأدراج بوزارة العدل حتى عام 1929 حيث صدر المرسوم بقانون 25 لسنة 1929، ولكنه طرح فكرة منع تعدد الزوجات، وما من شأنه ان يؤدى إليها، كما طرح الإلزام بكل شرط تشترطه الزوجة فى عقد الزواج. وفى عام1943 همت وزارة الشئون الاجتماعية بمبادرة من وزيرها آنذاك، أن تنشر المقبور ولكن ما لبث أن عدل عما هَمَّ به، وأعقبه وزير آخر وجعل من أعظم ما يعنى به هذه المسألة فأعاد نشر ذلك الدفين. وهم بأن يقدمه ليأخذ طريقه للعرض والتطبيق، ولكنه بعد أن خطا بعض الخطوات ونبه إلى ما فيه من خطر اجتماعى أعاده مشكورًا إلى حيث كان.

والحديث عن هذا الموضوع بالصورة التى عرضنا لها سلفًا أمر جد خطير، إذ فى تقنين هذين القيدين لإباحة التعدد فضلاً عن معارضته

للإجماع، حيث لم نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم منع زواج أحد لعدم قدرته على الإنفاق أو لعدم ثبوت عدالته، وكذا الصحابة من بعده، ثم أنىَّ للقاضى أن يعرف أن طالب التعدد سيعدل ولن يظلم وما مناط قدرته على الإنفاق؟ أيكون بحال الزوجة الجديدة أم حاله هو، كما أنه قد يقبل فى سبيل الزواج الجديد أن يضيق قليلاً بعد سعته، أيسوغ للقاضى أن يمنعه من هذا الزواج؟ بحجة أنه يجب أن يعيش فى رفاهية ويحرم من حلال، وترى لو حسن القصد من هذا التقنين فماذا تكون النتائج الاجتماعية والثمار التى سيقطفها المجتمع؟ فقد يكون القصد حسنًا ولكن ربما تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن، وهب أن القاضى منع الزواج بين اثنين استهوى كلاهما صاحبه، فهل ستنقطع العلاقة بينهما بمنع القاضي؟ أم أن كلمة الشيطان تحل محل كلمة الله تعالى التى منعها القاضي بأمر القانون، وعندئذ سيكون فساد كبير، فما عاد الرجل إلى زوجته الأولى ولا عادت المرأة الى أسرتها، عندئذ نعود كما بدأنا ونقول حقًّا إن المشكلة شائكة ولكن نقرر بلا خلاف إن حلالاً معيبًا خير من حرام لاشك فيه والله من وراء القصد.

أحمد محمود موافي

رئيس محكمة

المستجير

قرأت رسالة نوافذ الاستشهاء فى بريد الجمعة الأسبوع الماضى، وقرأت بتمعن شديد الرد الذى تفضلت بكتابته على هذه الرسالة، ولا أخفى أننى قد أصابنى الذهول من التحامل على الرجل، كاتب الرسالة أم أقول الجور عليه، ولا أدرى هل سيكون مناسبًا أن أقول فى هذا المقام:

والمستجير بعمر عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

هذا الرجل الذى لجأ إليكم فى محنته، فإذا به يفاجأ برد قاس ينفى عنه كل حميدة ويلصق به كل نقيصة، وأنا لا أقول إن الرجل لم يخطيء، فهو قد أخطأ ـ فى رأيى ـ خطأين، ولكنى قبل أن أذكر خطأيه فإنى أود مناقشة ردكم على الرسالة نقاشًا هادئًا أرجو أن يتسع صدر سيادتكم له.

لقد قمت يا سيدى باتهام الرجل بأنه قد أباح لنفسه كل شيء، ولم يمنح زوجته أى حق إنسانى، وأنه لم يتذكر إلاّ حقوقه هو، وياهول

هذه التهم، فهى تؤدى بصاحبها إلى التهلكة، وحقيقة الأمر - وحسب ما جاء فى الرسالة - أن الرجل قد اعترف بجميل زوجته عليه، ولم ينكر فضلها أبدًا ولم يجحده، بل شكر لها هذا الأمر سنين طويلة، وتفهم عصبيتها التى زادت بعد الإنجاب، نتيجة لما تعانيه فى تربية أطفالهما الثلاثة، ولم يستبد بأمر الشركة رغم أن ظروف زوجته وانشغالها بتربية الأطفال ربما كانت تتيح له ذلك، فقد استشارها فى أمر شراكة أرملة صديقه، ووافقت على ذلك، ولما حدث ما حدث وقامت زوجته باكتشاف قدر من العلاقة التى بين الرجل وبين زوجته الثانية، وثارت ثائرتها وخيرته بين نفسها وبين هذه المرأة، لم يتردد بأن اختار زوجته أم أولاده وفضلها على أى شيء آخر، واستجاب لمطالبها حقيقة وليس ظاهريًّا بأن أنهى الشركة التى بينه وبين زوجته الثانية، مع إبقائه على زواجه منها لاقتناعه بأنه يستطيع التوفيق بينه وبين زواجه الأول، فأين هذه الأمور كلها من الاتهامات التى لصقت به؟ أباح لنفسه كل شيء ولم يمنح زوجته أى حق إنسانى، وأنه لم يتذكر الاّ حقوقه؟!! فقد راعى الرجل شرع الله فى زوجته وأدى واجبه نحوها، وكان نعم الزوج كما كانت هى نعم الزوجة، ولا أستطيع أبدًا أن أحكم على الرجل - وبحسب ما جاء فى ثنايا الرسالة - أنه انتقى من الشرع ما يوافق هواه فقط وترك منه ما يلزمه بواجبات تجاه زوجته.

نعم لقد ضحت زوجته من أجله تضحية عظيمة، بداية من وقوفها بجانبه لإتمام الزواج، ومرورًا بمساعدتها إياه فى عمله بمشورتها وبمالها وبتحملها عجزه عن الإنجاب، أو ضعف احتمالاته بشكل طبيعى، وموافقتها على اللجوء إلى الحقن المجهرى حتى يتم الإنجاب، ولكن هل يعنى هذا كله أن هذه الزوجة الفاضلة أصبحت تمتلكه ملكية خاصة، تصل بها لأن تمنعه مما أحله الله له؟ نعم قد يكون من غير المناسب فى حالة ما إذا كان للزوجة فضل كبير على زوجها ألاّ يتزوج بأخرى، إمعانًا فى حفظ الحق وتقديرًا لها، وذلك نظرًا لما قد يصيب المرأة من ضرر جراء هذا الزواج الثانى.

ولعل هذا استرشاد بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم، فى زواجه بأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، فلم يرد النبى عليه أفضل الصلاة والسلام أن يتزوج بأخرى، وهى على قيد الحياة، لعل هذا بسبب ما قامت به من الوقوف بجانبه وقت الشدة، وتصديقها له فى بداية الرسالة، ومساعدتها له أثناء الدعوة ماديًا ومعنويًا، ولكن هذا كله من باب الفضل وليس إلزامًا على الرجل، ألاّ يتزوج بأخرى فى هذه الحالة، ومن ثم فقد يوجه لصاحب هذه الرسالة نصيحة فيما يتعلق بزواجه بأخرى بأن يقال له إن زوجته تستحق أن يضحى من أجلها ويتنازل عن المباح له من أجلها، ولكن لا يحق لأحد أن يوجه إليه لومًا أو عتابًا.

سيدى.. : لقد أخذت أكرر الجملة التى ذكرتها ليس من حقك أن تتزوج بأخرى مرارًا وتكرارًا، وحاولت أن أقلبها على جميع الوجوه، ولم أستطع أن أقول عنها أقل من أنها تحمل تجاوزًا كبيرًا، ولم أجد فى السطور اللاحقة مما ذكرت تأييدًا لها بأى وجه كان، فعندما أقول لشخص إنه ليس من حقك أن تفعل شيئًا ما، فهذا يعنى بلا شك أن هذا الشيء محرم عليه.

نعم التعدد مباح وليس واجبًا، ولم يقل أحد بغير ذلك، وقد أوصى الرسول الكريم بالنساء خيرًا، وهذا أيضًا لا يؤيد هذه الجملة الخطيرة، أما عن حق الزوجة الأولى فى طلب الطلاق إذا أحست بضرر لا تستطيع تحمله وليس أى ضرر، فالغالب أن الزوجة الأولى سيصيبها ضرر من الزواج بأخرى، ولكن هذا ليس كافيًا، فلابد أن يكون الضرر لا تستطيع تحمله فلها أن تطلب الطلاق، وفى هذه الحالة لا يكون ثمة خطأ على الزوج مادام التزم بشروط التعدد المعروفة - والظاهر من الرسالة أن الرجل قد التزم بها - ويكون فى الزوجة الأولى التى لم تستطع تحمل الضرر، الذى لم ينتج إلاّ عن مجرد الزواج بأخرى فقط، وليس لأى سبب آخر يكون ذلك نقصًا فى إيمانها. أما عن خطأ الرجل كاتب الرسالة، فلعله قد أخطأ - فى رأيى - خطأين: أولهما أنه حين أراد أن يستخدم الرخصة التى أباحها الله له وهى الزواج بأخرى، لم يكن صريحًا ولجأ إلى علاقة فى الكتمان، وإن انطبق عليها وصف الزواج

الصحيح، فلماذا يلجأ إلى المداراة فى شيء أحله الله ويسمح به، فكان ينبغى عليه منذ البداية ان يكون صريحًا مع نفسه ومع زوجته، وأن يتحمل الآثار التى قد تنتج عن ذلك سلبية كانت أم إيجابية، ولعل اللجوء إلى الطرق الخفية فى هذا الموضع من الأسباب، التى تسقط من قدر الرجل أمام زوجته وتهتز بسببها صورته أمامها.

أما عن الخطأ الثانى فهو يتمثل فى هجره لزوجته، وعدم اقترابه منها قرابة عامين، بعد أن عرفت شيئًا عن العلاقة بينه وبين زوجته الثانية، فإننى وإن كنت أرى أن زوجته مخطئة فى ذلك وأن غضبتها ليست لسبب شرعى يبرر لها ذلك، ولكن هذا لا يبرر بحال هجرها والبعد عنها، فالخطأ لا يرد عليه بخطأ مثله، فكان ينبغى عليه أن يتحمل ويحاول معها مرارًا وتكرارًا لعلها تلين مرة أخرى، وهذا من مقتضيات قوامة الرجل التى يغفل عنها كثير من الرجال، فلا يذكرون إذا ذكرت القوامة إلاّ ما يتعلق بطاعة الزوج، ولعل هذا الأمر هو الذى يمثل النظرة الذكورية السلبية السائدة بين الرجال، وليس النظرة الذكورية التى عنيتها فى آخر الرد على الرسالة.

سيدى.. أناشدك بالله أن تعيد النظر فيما تفضلت بكتابته ردًا على تلك الرسالة، وليكن شرع الله عز وجل هو المقدم قبل أى شيء آخر، ثم تأتى بعد ذلك الآراء الشخصية والانطباعات، ولنكن قوامين لله شهداء بالقسط، فلا شك أن قراء هذا الباب والمتأثرين به أكثر من أن

يحصوا، والكثير منهم ينظرون للرد على أنه الحل الصحيح النهائى الشافى والوافى للمشكلات التى ترد فى هذا الباب.

خالد مصطفى الشعراوي

قاض

نظرة الندم

تستوقفنى طويلاً الرسائل التى تنشرها فى بريد الجمعة، خصوصًا تلك التى تكتبها النساء، ويعبرن فيها عن معاناتهن مع أزواجهن، أو تعرضهن للقهر وسوء المعاملة والخيانة. وأتساءل دائمًا: هل الرجال دائما ظالمون؟ وهل المرأة دائمًا مجنى عليها؟ الحقيقة التى يمكننى تأكيدها أن المرأة كثيرًا ما تكون ظالمة وقاسية وربما خائنة، لأن أى رجل خائن يفعل ذلك مع امرأة خائنة، إذن الكفة متساوية، ولا يوجد ما يبرر تحميل الرجل وحده كل الأوزار.

سيدى.. لا أقول لك هذا الكلام من فراغ فقد عشت تجربة قاسية تلقيت فيها طعنات قاتلة، ولولا عدل الله ما استطعت الصمود، أو مواصلة رحلتى فى الحياة.

أنا رجل أعمال، عمرى الآن 47 عامًا.. ربانى والداى على طاعة الله والالتزام بأوامره ونواهيه، ومنذ تخرجى فى الجامعة، ساعدنى والدى فى إنشاء شركة صغيرة أبدأ بها حياتى العملية، كما دفعنى وشجعنى على

إكمال نصف دينى مبكرًا، حتى لا أكون عرضة لإغواء الشياطين.. استجبت له، وتقدمت إلى فتاة من أسرة طيبة، تسكن بجوارنا، ومشهود لها بحسن الخلق. خلال شهور قليلة تم الزفاف، وكم كنت سعيدًا باختيارى، وبتعبيرها الدائم عن سعادتها لأن الله أكرمها بشاب مثلى، كانت غير كثير من الفتيات، لا تتمنى أن ترتبط بشاب له تجارب، لنستمتع باكتشاف الحياة معًا. لا أخفيك.. عشت سنوات فى قمة السعادة، أنجبت خلالها طفلتى الأولى التى زادتنا قربًا. نمت شركتى وزادت ثروتى، وكلما نجحت عملية جديدة، أسارع بشراء هدية ثمينة لشريكة حياتى، كما أودع لها مبلغًا فى حسابها فى البنك.. ولما لا، فهى تشاركنى رحلة الكفاح، وتتحمل غيابى طويلاً عن المنزل، وتبذل جهودًا كبيرة فى تربية ابنتى، التى أنعم الله على بعد ثلاثة أعوام من ميلادها بشقيق يؤنس وحدتها، وحمدت الله كثيرًا على نعمه، وقررت أن أذهب وزوجتى إلى الحج حتى نتم فروضنا. إنها الجنة على الأرض، تلك الحياة التى عشتها، لم يكن يعكر صفوها، سوى إنفاق زوجتى الذى كنت أراه مبالغًا فيه، وكان يستوقفنى أحيانًا مساوماتها للحصول على مبالغ مالية أكبر من تلك التى كنت أقدمها لها هدية، ليزداد رصيدها فى البنك، أو عدم إنفاقها على نفسها مما أمنحه لها حسب اتفاقنا، فأفاجأ بها تطلب منى أشياء دفعت لها ثمنها، بزعم أنها تحب أن أشترى لها حاجياتها بنفسى. لم أكن أتوقف كثيرًا أمام هذه التصرفات،

نعم كانت تستفزنى، ولكنى رأيتها فى إطار دلال الزوجة على زوجها، وكنت أقول لنفسى، الأموال فى حسابى أو حسابها، فى النهاية كله للأولاد.

دامت الحال10 سنوات، من نجاح إلى نجاح، حتى حدث الإعصار، فللحياة وجه آخر، لا يعرفه السعداء ولا الأشقياء، حتى يأذن الله، فيطل علينا لنأخذ نصيبنا كاملاً من الفرح والحزن.. لقد شاءت الأقدار أن ترتبك أعمالى، لبعض التقصير منِّى، ولكثير من القرارات الاقتصادية المتضاربة والمفاجئة فى مصر، وكان من نتيجة ذلك أن خسرت أموالاً كثيرة، وأصبت باكتئاب شديد، حاولت أن أتجاوز عثرتى، ولكن الأزمة كانت أكبر منى. تلفت حولى أتشبث بمن يحنو على ويدفعنى للمقاومة، خصوصًا بعد وفاة سندى المعنوى والمادى، والدى، فلم أجد! تسأل بالطبع: وأين زوجتك، حبيبتك، أم ابنيك؟

فجأة يا سيدى، وكما وجدت الحياة تدير لى وجهها، أدارت هى الأخرى وجهها، صمدت قليلاً على أمل أن أنجو من أزمتى، وعندما أيقنت عمق الكارثة، كشفت لى عن وجه لم أتخيله، ولم أر يومًا ملمحًا له، هل هى كانت تحمل كل هذا القبح ولم أره فى البداية، أطلقت فى وجهى سهام النقد، أنت السبب، أنت مهمل، قصرت فى عملك، أنفقت أموالك على أهلك وأصدقائك، أين هم الآن؟ أنت المسئول عما حدث وعليك أن تجد الحل. لم تكتف يا سيدى بتلك الكلمات

الطعنات، بل بدأت تعبر عن ضيقها وضجرها من عدم مقدرتى على الإنفاق على البيت كما اعتادت دائمًا، بوجه عابس تصرخ فى وجهى بأنها زهقت من هذه الحياة، تفر من البيت إذا وجدت به، لم تمتد يدها إلى حسابها فى البنك لتساعد فى مصاريف البيت. وفوجئت أيضًا ياسيدى بأنها بدأت تبعد ابنى عنى، تصطحبهما معها فى الخروج، وتقول لى أنت مكتئب والأولاد يريدون التغيير. فى ظل هذه الأجواء، وبحثى الدائم عن منفذ للخروج من الأزمة، لاحت فى الأفق فرصة للنجاة، ولكن كنت أحتاج إلى مبلغ من المال يساعدنى على تجاوز المحنة، تلفت حولى فلم أجد غيرها، طلبت منها أن تعطينى بعضًا مما لديها فى حسابها على سبيل القرض، على أن أرده لها بعد نجاح المشروع، ماذا تتوقع أن يكون رد فعلها؟ لقد صرخت فى وجهى: انس. دى فلوسى، وفلوس أولادى، عاوز تضيعها زى ماضيعتنى، تقول عنِّى أنا ضيعتها، ترفض مساعدتى بأموالى، قلت لها: أنا على استعداد أن أكتب لك شيكات بالمبلغ، وكانت هذه الجملة هى النهاية.. نهاية الكذبة التى عشتها مع تلك المرأة.. لقد طلبت الطلاق: قالتها بكل حسم ووضوح: طلقنى.. لن أستطيع العيش معك بعد اليوم، لم أصدق أذنى، نظرت بعينى صوب حجرة أبنائى، فلاحقتنى بذكاء تحسد عليه: الأولاد هيكونوا معايا.. أنت لن تستطيع الإنفاق عليهم.

سيدى: لم أنطق بكلمة.. انسحبت من أمامها بهدوء، متجهًا إلى حجرتى، جمعت ما استطعت جمعه من أشيائى، وضعته فى حقيبتى، ثم ذهبت إلى حجرة أطفالى، قبلتهما وهما نائمان، وقبل أن أغادر الشقة، نظرت إليها لعلى أجد فى عينيها شيئًا واحدًا يبعدنى عن القرار الذى اتخذته، الندم. كنت أتمنى أن أجد بقايا من تلك المرأة التى أحببتها يومًا، وكانت تذوب فى عشقًا وأنا أمنحها نقودى، ولكنى وجدت عينين متحجرتين، مصمتتين، قاسيتين، قلتها، كلمة واحدة: أنت طالق.

هل تصدقنى سيدى.. على الرغم من كل الألم الذى كان بداخلى، كل الغضب، كل الندم، فإننى أحسست براحة غريبة، وكأن همًا ثقيلاً انزاح من على صدرى، وطاقة من الضوء والأمل تشع فى روحى، تؤكد لى أن الله سيعوضنى عما عانيت، إنها الثقة فى عدله سبحانه وتعالى، رفعت وجهى إلى السماء وقلت: فوضت أمرى إليك ياربى، راضيًا بما قسمته لى. توجهت إلى أمى، ألقيت بنفسى فى صدرها، بكيت كما لم أبك من قبل، قصصت عليها كل ما حدث، فلم أكن قد حكيت لها من قبل خشية أن تتألم من أجلى، وبدلاً من أن تنهار معى، فوجئت بأمى تنهرنى: أنت رجل، الرجال لا يبكون.. لقد نجحت بعقلك وذراعيك، ومن ينجح أولاً يمكنه النجاح متى شاء، وتركتنى وذهبت إلى حجرتها، لتعود إلى ومعها بضعة آلاف من الجنيهات وكل ما لديها

من ذهب، ومدت يدها إلى وبابتسامة رائعة احتوت كل أحزانى قالت لى: اثبت لى أنك ابنى، ارفع رأسك ورأسى، إن انتقامك من تلك المرأة هو أن تنجح. سقطت كلماتها على كالبركان، فجرت فى داخلى كل ينابيع التحدى. بقيت ليلى أدرس ما حدث وكيف وقعت الخسارة، وضعت خططى للمشروع الجديد، وفى الصباح أطلقت روحى وجسدى لطريق النجاح. عام واحد، عام من السهر والكفاح والتحدى، أعادنى مرة أخرى إلى الحياة، انتعش مشروعى، وافتتحت فرعًا جديدًا لشركتى فى الإسكندرية، فأحسست أن الله راضٍ عنِّى، فكنت أعود إلى أمى كل مساء لأقبل يديها، اليدين اللتين انتشلتانى من اليأس والفشل، وأعادتانى مرة أخرى للحياة. تسألنى وماذا عنها وعن ابنى وابنتي؟ عندما عرفت مطلقتى ما حدث لى من نجاح، بدأت فى إرسال رسائل مع طفلى برغبتها فى العودة من أجلهما. كنت أضحك بداخلى وأراها تتفنن لإغوائى بالعودة، وعندما أيقنت أننى لن أفعل، قررت أن ترسل لى الطفلين لأنها لم تعد قادرة على تربيتهما وحدها، خصوصًا مع تقدمهما فى العمر وازدياد مصاريفهما، فرحبت على الفور، وأتيت لهما بخادمة لتعين أمى فى تربيتهما. ولم تمر شهور حتى فوجئت بها تتزوج من رجل أعمال نصاب فى شقتى التى اشتريتها وأثثتها من مالى وكتبتها باسمها. واتخذت قرارى بعدم متابعة أخبارها أو الاهتمام بما يحدث لها، ومنذ عامين التقيت بفتاة أعجبتنى، وتأكدت من طيب

أخلاقها، ووجدت منها ترحيبًا بمشاركتى الحياة مع طفلى، فتزوجتها، ونعيش الآن حياة سعيدة، خصوصًا بعد أن أكرمنا الله بشقيق ثالث لطفلى، ووجدت منها حسن المعاملة وعدم التفرقة بين أبنائى، فاطمأن قلبى، وإن كنت لا أخفيك أنى اصبحت أكثر حرصًا، فلم أقع فى الأخطاء التى ارتكبتها فى زيجتى الأولى، أكرمها وأغدق عليها بالهدايا وأوفر لها من تقوم بأعباء المنزل، ولكنى توقفت عن سفهى السابق. فلا يلدغ مؤمن من جحر مرتين، ومن يدرينى ألاّ تتحول تلك المرأة هى الأخرى، تكفى جرعة واحدة من الكأس المرة، فالمرارة مازالت فى حلقى برغم كل هذه السنوات، وعلى الرغم من انتقام الله من زوجتى السابقة، وحسن زوجتى الحالية وطيب روحها وخلقها، فإن غضبًا ما تجاه المرأة كامن فى نفسى. سيدى، إن إحساس الشماتة بداخلى يؤلمنى، ولكنه رغمًا عنى، لقد انتقم لى زوج مطلقتى، فاستولى على كل ما أخذته منّى، حتى الشقة نجح فى الاستيلاء عليها، وطلقها لتعود كسيرة مهزومة إلى بيت أسرتها. يؤلمنى تألم طفلى عندما يذهبان إليها، ولكن ما أذاقته لى من إهانة وذل وتخل يسرق أى إحساس إنسانى تجاهها. وأرى فى انتقام الله وعدله درسًا لكل امرأة تغرها الدنيا، أو تستغنى بما لديها من مال عن رجلها أبو أولادها، من تغره الدنيا بوجهها الباسم، عليه أن يتحسب لها عندما تنظر إليه بوجهها الآخر.

* * *

سيدى : الخطأ والظلم والخيانة وغيرها مما يرتكبه الإنسان ليست حكرًا على الرجل أوالمرأة، ولكنها صفات وتصرفات لها علاقة بالنفس البشرية، قد تكون رسائل النساء أكثر، لأنهن الجانب الأضعف والأكثر تعرضًا للظلم فى مجتمعاتنا، ليس بسبب سلوك الرجل فقط، ولكن بسبب مفاهيم عديدة مغلوطة تربينا عليها، حتى أصبحت وكأنها حقائق، كما أن الرجل ـ فى مجتمعاتنا ـ لم يعتد الشكوى، إيمانًا بأنه الأقدر على التحمل والمواجهة، أما المرأة فليس أمامها إلاّ الحكى لمواجهة أحزانها وآلامها.

وبالنسبة لقصتك المؤلمة، فقد أتفهم صدمتك فى شريكة حياتك التى منحتها كل شيء، فانقلبت عليك، فى وقت كان عليها أن تكون بجوارك، جزءًا منك. حتى تجتاز محنتك القاسية، ولكنها لأسباب لم أتبينها فى رسالتك، قد تكون فى تربيتها أو سلوكها الشخصى أو لأخطاء منك، لم تر الوجه الآخر للحياة، وظنت أن السعادة ستظل طوعًا لها، وأن عليها جنى الثمر بدون وخز الشوك، فاستمرأت ما قدمته لها، واعتقدت أنها ستواصل رحلة الأخذ مع رجل آخر، حتى تجرعت نفس الكأس التى أذاقتها لك.

وإذا كان الشاعر فولتير قال يومًا: بعض الزوجات داء وبعضهن دواء، فإن رسولنا الكريم وهو يوصينا بالنساء خيرًا، قال لنا أيضًا: من **سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم:المرأة**

الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء.

كانت زوجتك هى المرأة السوء، ولكن هذا لا يعنى أن نصف كل النساء بالسوء، فالتى أنقذتك هى امرأة حتى لو كانت أمك، وما فعلته معك تفعله نساء كثيرات مع أزواجهن وأبنائهن، فيجب ألاَّ نعمى أبصارنا عن الحقيقة، إذا صادفتنا أزمة، فالأزمات هى التى تكشف جوهر الإنسان وتصقله، وليس معنى ما فعلته مطلقتك معك، أن تفعل زوجتك الجديدة الشيء نفسه، وكل ما أخشاه أن يظل شبح تجربتك الفاشلة يطاردك، فيسرق استقرارك وهناءك.

سيدى.. لا تنظر خلفك، ولا تدع نار الكره والانتقام تحرق ما بداخلك من خير ومحبة. لقد كان الله معك كريمًا عندما جعلك ترى بنفسك انتقامه من أم ولديك، ليذكرك ويذكرنا بأنه العادل المنتقم الجبار، ألا يرضيك هذا؟ أنت تعرف الآن أنها تعيش أيام الندم والحزن، فى وقت كنت تبحث فى عينيها عن نظرة واحدة للندم. فلا تبتغ غير وجه الله فى كل ما تفعله، وستجده سبحانه وتعالى عند حسن ظنك به، فللخير ثمرات مهما تأخر نضوجها وللشر أشواك مهما تأخر وخزها. وإلى لقاء بإذن الله.

الدائـرة المحـرمة

منذ أن بدأت أرقب هذا العالم من حولى وأطل عليه من خلال الكتب. أقلام وسطور صنعت قصصًا كان بابكم هذا هو أحد مصادرها، منذ بدأها رحمة الله عليه الأستاذ عبدالوهاب مطاوع، ومع كل قصة كان يزداد شعورى بأنه سيأتى يوم وأكون أنا الراوى لإحدى القصص. مرت بى أحداث كثيرة منذ طفولتى سطرها وشهد عليها شريك الدرب قلمى، ورغم هذا لم أفكر فى الكتابة لك حتى قرأت رسالة الأسبوع الماضي(نظرة الندم).

لقد أثارت أشجانى وأبكتنى، لأن كلمات وشعور الزوج تجاه مطلقته هو نفسه ذلك الشعور، الذى كان فعله كعاصفة خريف أسقطت أوراقى واقتلعت زهور حديقتى، ورحلت تاركة خلفها أرضًا جرداء قد تتلمس فيها بعضًا من رحيق الماضى.

أنا ياسيدى أبلغ من العمر29 عامًا تزوجت عندما أتممت23 عامًا، من رجل يكبرنى ببضع سنوات، كان مطلقًا ولديه طفل عمره6 سنوات، وطفله 3 سنوات، كانت تجمعنا صفات كثيرة من وجهة

نظرى على الأقل، تشابه الأخلاق والنشأة الدينية وحب الأدب باختلاف أنواعه، ولأن العائلتين تجمعهما علاقة نسب من قبل وشهادة القريب والبعيد له بدماثة الخلق. تزوجته بعد طلاقه بشهرين فقط، برغم معارضة البعض أن أشارك شخصًا يحمل آلام الغدر وهموم طفلين هما كل حياته من وجهة نظرهم، أما أنا فكنت أرى أن الطفلين منحة من الله كيف أرفضهما؟ لعلهما يكونان سبب مغفرة لى، أما هو فكان بالنسبة لى أقرب للملائكة من البشر.. تعلقت بالطفلين وهما أيضًا، ولم أطلب منهما أن ينادياني ماما ولكنهما فعلا عندما شعرا بها، أحساها ونطقاها برغم أن حياتى لم تتعد معهم أربعة أشهر، المشكلة الحقيقية كانت ذلك الزوج؟ كانت نظراته تحمل حيرة وتساؤلاً يكبر بداخلى بلا إجابة؟ لك أن تتخيل ياسيدى منذ ليلتى الأولى فى بيته وهو يقرأ ويشاهد التلفاز، يحزن ويضحك أيضًا، لوحده، فى غرفته هو، أما تلك التى تزوجها فهى وولداه فى الغرفة الأخرى لايسمعها ولايجاورها، لها حياتها وله حياته، بنى حوله، أسوارًا عالية مغلقة أبوابها بأقفال ومتاريس، وأحاطها بأشواك دامية تجرح كل من يحاول تسلق تلك الجدران!! السؤال هو لم كل هذا؟ هى رغبة رد الكرامة.. هو حصاد مازرعته الزوجة الأولى وإن تجسد فى إذلال قلب برئ احتواه هو وطفليه، لم يضربنى ولم يشتمنى ولم يجرحنى باللفظ بل: قتلنى بالإهمال، كنت أرى الشك بعينيه تارة وكرهه للمرأة تارة.

والخوف المتمثل فى تحولى لصورة جديدة منها تارة. بإيجاز كل الصفات الخبيثة التى قد يصف بها رجل امرأة كان يحملها داخله لنساء الأرض.

قد تسألنى ماذا كان دورك لتجتازى هذه المحنة؟ رغم أنى كنت أبيت ودموعى تشهد عليها وسادتى، فأنا بشر فى النهاية، فإننى فى الصباح أذهب لغرفته كى أوقظه بوجه باسم، وكأن أجنحة السعادة تعانق جدران هذا البيت، وهذا لكونى متفهمة عمق جرحه كنت أتحمل ولا أظهر سوى سعادة بحياتى معه، ولم أغفل دور المصارحة والحوار، وفى كل مرة كان يهرب من الحوار بشكل يجعلنى أصمت كى لا أثقل عليه، وإن أعجبتنى قصة ببريد الجمعة وضعتها فى طريقه كى يقرأها، بل أكثر من ذلك استعنت بصديق الدرب، قلمى، كتبت له ناجيته توسلت إليه أن يرمى من على عاتقه تلك القيود، فلن نعبر وأنا وحدى أحمل مجداف المركب، قلت ما لا أقدر أن أبوح به، وكل هذا عن عمد كى يقرأ. كان عندما يرى نور غرفتى مضاء ليلاً، أعلم أنه فى اليوم التالى سينتهز فرصة غيابى عن البيت ولو لحظات كى يقرأ ما أكتبه، ليس من مبدأ معرفة ما يجول بخاطرى بل من مبدأ الشك، حصاد الزيجة الأولى. ويفسر تلك المحاولات على أنها خطوة سأطلب الطلاق بعدها كما فعلت هى، برمج محاولاتى على غرار قواعد اللعبة التى وضعتها الزوجة الأولى، بأنه قرر بإصرار أن يبادر باتخاذ قرار الطلاق كى يثبت لنفسه أنه قادر أن يرفض كما رفضته تلك سابقًا،

عندها انهار تمثال الذهب الذى صنعته له على رأسى قطعة قطعة، أى ذنب اقترفته كى أدفع مالم يستطع أن يجعلها تدفعه؟ وتزوج بعدى وطلق بشهور، وهو صاحب قرار الطلاق أيضًا، وتزوج بأخرى وأنا واثقة فى أن كل واحدة منا دفعت جزءًا من ديون الزوجة الأولى.

سيدى صاحب رسالة(نظرة الندم)، أنا لا أعرفك ولا أعرف مطلقتك ولازوجتك، ولكن كلماتك كانت سهامًا انطلقت تفجر جروح قلبى التى كدت أنساها، أعلم أن التى جرحتك امرأة فلا تجعلها تنجح فى جعلك سوطًا تجلد به من فتحت قلبها واحتوتك أنت وأولادك لمجرد كونها امرأة، لاتقتلع بقسوة الأشياء الجميلة بداخلها بيديك، أنت زوجها لاتحاسبها على مالم تفعله، أنا أوافقك الرأى بأننا بشر نتأثر بتجاربنا، فأنا خرجت من تجربتى بأزمة ثقة بالقيم التى تربيت عليها. اعتزلت ماكنت أحب فى الماضى، حتى مهنتى الأدبية اعتزلتها، واليوم جاء قلمى ليؤكد لى أنه يتنحى عن دوره فى حياتى هو الآخر، اين ذلك القلم الذى إن بدأ بالكتابة لايجد من يوقفه وكأنه تبدل. أجد صعوبة ولحظات صمت طويلة وأنا اكتب الآن وكأنه يسطر هو الآخر شهادة وفاته، ورغم كل هذا فأنا أحاول وحدى، أما أنت فتملك من تحاول معك بإصرار لتنجح، قد أكون أطلت عليك ياسيدى فكم تحدثنا عن الزوج أو الزوجة الخائنة، والثمن الذى يدفعه الأولاد، ولكن أين الثمن الذى تدفعه من تحاول أن تدخل تلك الدائرة

المحرمة لتكون أمًا بديلة للأولاد وسكنًا ورحمة لهذا الزوج المجروح؟ أريد أن أوجه كلمة لكل رجل أذاقته امرأة طعم الخيانة وكل مطلق على وجه الأرض؟

إن لم تكن مصرًا على إنجاح حياتك الجديدة فلا تقدم على خطوة الارتباط إلاّ وأنت متأهب لها، ردد هذه العبارة بداخلك كلما شعرت بوخز أشواك الخيانة:(لن أجعل المرأة الأولى تنجح فى تدمير الآتى كما دمرت الماضي)، افتح أبوابك وشبابيكك للزوجة الجديدة، اسمعها، ابحث عن الحلو داخلها، قد تخدعك نفسك وتقنعك بأنك معافى من آثار التجربة السابقة، لا تنخدع.

خلال الأعوام الست السابقة وكل مطلق يطرق بابى خاطبًا أراه حاملاً مطلقته بداخله ولايرى إلاّ ما زرعته بداخله فتجعله سوطًا يمزق قلوب الأخريات لأنهن كلهن حواء؟

نناشدكم بالله عليكم لاتقتلعوا زهورنا ولاتكتموا تغريد طيورنا، لا تتركوا حدائقنا جرداء ننظر إليها بعيون دامعة نرثى حالها نتلمس ماتبقى من الماضى، وأخيرًا إن فعلت فالسؤال هو هل تقدر أن تحمل على عاتقك ذنبنا مادمت تحيا؟

***

سيدتى : إن المرأة التى ترضى بدخول حياة رجل له تجربة فاشلة أو غير موفقة، ابتغاء مرضاة الله بتربية أطفال حرموا من أمهم، أو بحثًا عن تكوين أسرة، لا تكون أبدًا قد دخلت دائرة محرمة، بل هى دخلت دائرة حلال مضيئة، أما الذى دخل الدائرة المحرمة، فهو هذا الرجل، الذى يدخل امرأة إلى حياته وهو يختزن كل عوامل الفشل، وينوى الانتقام منها بإسقاط كل إحباطاته وفشله عليها، محملاً لها كل مساوئ شريكته السابقة، مغمضًا عينيه عن كل الفواكه التى تنبت فى حديقة بيته. مثل هذا الرجل، يكتشف أنه يتحمل جزءًا من فشل علاقته الزوجية الأولى، وأنه بدلاً من وضع كل علاقة فى سياقها، يصدر حكمًا واحدًا على كل النساء. وإذا كان فساد رجل وانحرافه، لايعنى أن كل الرجال كذلك، فإن زوجة سيئة أو رافضة لاتعنى أن كل النساء مثلها. ولكن ضعاف الشخصية، غالبًا مايميلون إلى الاستسهال فى الأحكام حتى لايواجهوا أخطاءهم، ويدارون على عدم ثقتهم فى أنفسهم.

وأقول لكل رجل أو امرأة لم تستمر حياتها، إن الحب والعلاقات الزوجية مثل البشر، لها أعمار، قد تنتهى مبكرًا، وقد تستمر إلى أن يأذن الله، فإذا انتهت مبكرًا فهذا لايعنى نهاية الحياة، بل يعنى بداية حياة أخرى قد يكون عمرها أطول.

وأقول لك يا سيدتى: إن امرأة فاضلة مثلك، يجب أن يضعها الرجل فى عينيه وعلى رأسه، لأنك قبلت أن تدفعى أثمان أخطاء لم تشاركى فيها، واحتويت ابنيه وأصبحت أمهما، وليس ذنبك أن عمر هذه العلاقة انتهى، فلا ترتكبى أخطاءه نفسها، ولا تصدرى أحكامًا مطلقة ضد الرجال، ولا تفقدى ثقتك بالقيم التى ربيت عليها، واحتفظى بتمثال الذهب فى داخلك حتى يأتيك من يستحق أن يشم الزهر فى حدائقك لا أن يقطفه.

نوع من الرجال

المتابع للرسائل المنشورة خلال الفترة الماضية عيون المعصية، والشبح، وجروح الروح وغيرها يجد بينها تشابهًا كبيرًا مع الاختلاف فى التفاصيل، فالخط الرئيسى فيها جميعًا هو العلاقة التى تنشأ بين الزوج وامرأة أخرى غير زوجته، مع تباين كبير فى المواقف ما بين رجل يحمل قدرًا من الوازع الدينى يؤرقه ويؤنبه كلما تعرف على امرأة أو تمادى فى علاقته بها، وبين آخر ليس لديه هذا الوازع ويستمتع بمغامراته ويفتخر بينه وبين نفسه بأنه يخدع من حوله ويأخذ ما يريده دون منغصات.

وهذا يدعونا للعودة إلى الحديث عن موضوع الزواج الثانى، الذى يظهر على ساحة الحوار من وقت لآخر، ولكن كل مرة من زاوية مختلفة، وهذه المرة يأتى من زاوية جديدة لا أعتقد أنه طرقها الكثير من قبل، ألا وهى حالة بعض الرجال الذين يعانون من ميل زائد وشديد للنساء، فما قرأناه فى هذه القصص هو مجرد نموذج لهذه الحالات، وأعتقد أن هذه الشريحة من المجتمع ليست قليلة، وبغض النظر عن حجمها ونسبة ما تمثله فى المجتمع، أو رأى البعض فيها وانطباعه عنها،

فلنعترف بأنها موجودة وتحتاج لضوابط شرعية واجتماعية مثلها مثل أية قضية اجتماعية أخرى، وفى رأيى أن الزواج الثانى يعد حلاً أمثل ومخرجًا شرعيًا لأصحاب هذه الفئة حفاظًا على الأعراض والأنساب، وصونًا للعلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية. وكأى شريحة فى المجتمع يوجد فيها الصالح والطالح، سنجد ضمن هذه الفئة من هو ملتزم، يجد من نفسه رقيبًا على أفعاله، تذكره وتمنعه إن وسوس له الشيطان بمعصية، وهؤلاء يتعذبون بهذا الابتلاء من الله، خصوصًا إن لم يجدوا داخل البيت ضالتهم، أو من الأعمال والأنشطة الأخرى ما يشغلهم عن هذا الميل، ويظل مهمومًا مشغول البال يكبت مشاعره التى خلقها الله فى نفسه ويصارع إلحاح نفسه، ويظل يشعر بالذنب وتأنيب الضمير إن وقع نظره على امرأة ووجد فى نفسه منها. وعلى الجانب الآخر نجد من لا يوجد لديه وازع من دين أو أخلاق، يمنعه من التمادى فى هذه العلاقات، فهو يطلق العنان لرغباته ويقيم العلاقات المتعددة مع الفتيات والسيدات، ولا يعبأ بسمعتها ولا سمعته، ولا حتى صورته أمام أهله وأبنائه، ولا يرتدع إلاّ بعد أن يرى انتقام الله وعدله فى عباده.

أما إذا كان المجتمع ينظر للزواج الثانى نظرة منصفة وموضوعية، بعيدًا عن الاتهامات الجاهزة والموجهة لكلا طرفيه، ويبحث عن الدوافع وراء هذا الزواج، ويقدرها لدى كلا الطرفين قبل الحكم عليه

بالرفض أو القبول ـ وهذا هو الأسلوب الواجب اتباعه للحكم على أية قضية ـ ففى هذه الحالة يمكن أن تعيش الأسرة والمجتمع فى جو أقل توترًا وبدون عواصف كالتى نقرأ عنها، وتظل محتفظة بالحد الأدنى اللازم لاستقرارها ولنشأة الأبناء نشأة سوية، هذا الحد الأدنى هو عدم الانزلاق للخطيئة، وعدم سقوط رب الأسرة فى نظر نفسه وزوجته وأبنائه، لأنه مهما تكن الدوافع لدى الزوج فزواجه من أخرى ليس جريمة ولا خطيئة، بشرط أن تقدر الأمور بقدرها.

وأخيرًا هناك سؤال أرجو أن تسأله كل زوجة لنفسها وأن تجيب عنه بأمانة مع نفسها، أيهما أفضل لها ولبيتها ولأبنائها ولزوجها، أن يتزوج زوجها بأخرى زواجًا شرعيًا مع عدم تقصيره فى حقوقها، أم أن تضبطه مع أخرى فى علاقة محرمة، أو أن تسمع من الناس شائعات تنال من زوجها وتسيء لسمعته وسمعة أبنائها؟ ثم لماذا نغلق الباب الحلال ثم نصرخ ونبكى إذا طرق الرجل باب الحرام؟! لو أجابت الزوجة عن هذه التساؤلات بعقلها، وليس بعواطفها لتوصلت للإجابة السليمة، وأود أن أكرر وأؤكد أننا لا نطالب بالدعوة للزواج الثانى على إطلاقه ولكن فقط نريد عدم رفضه من المجتمع وقبوله كعلاج وحل شرعى لبعض الحالات، كما جاء فى رسالة سابقة ويضاف إليها الحال الواردة بهذه الرسالة.

أحمد منتصر

أخصائى نظم آلية

تساؤلات أخيرة

أتمنى أن أعرف رأى الرجال فى مشكلة الزواج الثانى التى خرَّبت بيوتًا كثيرة، وولدت مشاكل كثيرة ودمرت أبناء وزوجات كثيرات وهدمت مثل عليا كثيرة، وهناك آلاف الأسر التى تعيش فى شكل أسر لكنها ـ ويعلم الله ذلك ـ مناظر أمام المجتمع فقط، وهناك آلاف الأسر تسكن فقط منزلاً واحدًا معًا، وكل فى حاله لا يعلم عن الآخر أى شيء أيضًا من جراء هذه المشكلة.

أريد أن أسأل معشر الرجال عن الأسباب التى تدفع أحدهم إلى الزواج الثانى، فى وجود زوجة تتقى الله فيه بكل ما تحمل هذه الجملة من معان، ماذا إذا كانت زوجته محبة له ولأولاده وتهيء له المسكن المريح مهتمة به وبنفسها، وتراعى الله فى أمواله وتحفظه فى غيبته. وتصل رحمه، متفاهمة لأى ظروف هى معه فى السراء والضراء، هى زوجته وأخته وأمه وصديقته تلبى له كل طلباته دون تقصير أو إهمال، مهتمة بمظهرها ونظافتها ونظافة بيتها، لا تفشى سر بيتها لأحد

ولا تستضيف أى أحد إلاّ بإذنه، هو كل حياتها ماذا يريد الرجل أكثر من ذلك؟

أريد أن أسأل معشر الرجال هل يستطيع أحدهم أن يفسر لماذا الزواج الثانى، خصوصًا أن معظم حالات الزواج الثانى تأتى بعد طول عشرة أى بعد 20 سنة وربما 25 سنة، ألم يكتشف هذا الزوج عيوب زوجته إلاّ بعد هذه السنوات الطويلة، وإذا كانت الإجابة أنها تقدمت فى السن ويريد هو زوجة شابة، أقول وأنت ألم يتقدم بك العمر وهل هذا ذنب تعاقب الزوجة عليه؟

أريد أن أسأل معشر الرجال هل يملون من السعادة؟ هل يملون الهدوء والسكينة؟ لماذا يدمر الرجل نفسية زوجته بعد سنوات من العشرة الطيبة؟ وهى التى كافحت معه سنوات طويلة وبنت معه وكبر فى عمله وهى معه، وكثرت أمواله وهى معه، لماذا هذه السنوات الطويلة يحرمها نعمة الراحة والأمان والسكينة فى الخمسين من عمرها أو قبل أو بعد ذلك؟ لماذا يأتى بأخرى لتحصد ما زرعته؟ لماذا يأتى بأخرى لتسكن ما بنت الأولي؟ لماذا يسعد وتسعد الأخرى وتشقى الأولي؟ لماذا ترتاح الأخرى وتتعب الأولي؟ لماذا يحرمها من حصاد سنوات طويلة أو حتى تشاركها فيه أخرى لم تقدم أى شيء؟ نعم يا أستاذى لقد أباح الإسلام التعدد لكن لم يفرضه، أى أن التعدد فى

الإسلام ليس فرضًا ولا سنة، بل حكمة الإباحة فى حالات معينة معلومة لكل منصف منها:

1 ـ الإنجاب.. رغم أن الكثير من الأزواج يرفض الزواج الثانى حتى لهذا السبب وأعرف الكثير يعيشون فى سعادة ووفاق برغم عدم الانجاب.

2 ـ مرض الزوجة مرضًا عضالاً لسنوات تجعل الرجل لا يستطيع أن يشبع احتياجاته.

3 ـ سوء أخلاق الزوجة.

4 ـ الزوجة النكدية التى تعيش معه فى مشاكل لا تنتهى.

5 ـ إهمال الزوجة لزوجها وبيتها وانشغالها عنه لأى سبب.

أعتقد أن فى مثل الحالات السابقة يحق للرجال الزواج بأخرى، لكن هل إذا رأى الرجل امرأة تتميز عن زوجته فى أى شيء يسارع بالزواج منها؟ ومع ذلك ورغم أى ظروف تضطر أى رجل للإقدام على هذه الخطوة، أرجو أن تكون لديه الجرأة والشجاعة والرجولة التى تحتم عليه أن يخبر زوجته بذلك قبل أى فرد، وقبل إتمام الزواج، وللزوجة أن تختار حياتها بعد ذلك، فكما قلت سيادتكم إن هناك من تقبل هذا وهناك من ترفض وتطلب الطلاق.

ودعنى أهمس فى أذن تلك الزوجة الثانية ضعى نفسك مكان الزوجة الأولى هل ترضين أن تكونى فى مكانها، وأدعو كل سيدة أن تقابل الزوجة الأولى وتطمئن بنفهسا أنها قبلت هذا الوضع وتتأكد من الأسباب التى سردها ذلك الزوج عن الدوافع لذلك.

ولا داعى يا سيدى لمن يخفى هذا الزواج سنوات وسنوات، وتعيش الزوجة فى خداع وخيانة مستمرة طوال عمرها.

سناء عبدالحميد

كبير إعلاميين

ما طاب لكم!

كشفت رسالة نوافذ الاشتهاء عن أزمة فى المجتمع، حول مفهوم التعدد ومبرراته، فغضب كثير من الرجال ورأوا فى تعليقى على الرسالة ما يحرم ما شرعه الله بقولى إنه ليس من حق صاحب الرسالة أن يتزوج على زوجته وإنما مباح له، وأكرر بعد العودة مرة أخرى إلى علمائنا إنه ليس حقًّا، ولو كان كذلك لاعتبر من لم يقم به مقصرًا فى أحد الحقوق الشرعية.

ووصل الأمر ببعضهم إلى اعتبار أن الأصل فى الزواج هو التعدد، فيما الحقيقة أن الأصل هو الإفراد، والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه الحكيم: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ وهنا يخاطب المتزوجين بدليل أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يذكر لفظة واحدة وحالات الزواج الشرعية إليها.

ولأن كثيرين من الرجال الذين أرسلوا لى يتحدثون عن التشبه بالرسول عليه الصلاة والسلام، وعلى الرغم من اتفاقنا على أن ما أحل للرسول، ليس بالضرورة يحل لنا، فإننى أذكر نفسى وأذكركم، بأن

النبى صلى الله عليه وسلم، رفض أن يتزوج سيدنا على بن أبى طالب من ابنة أبى جهل على السيدة فاطمة، وقال على المنبر: أما إنى لا أحل حرامًا ولا أحرم حلالاً، ولكن فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها، فهل هناك أب لا يريبه أن يتزوج زوج ابنته بأخري؟!

هل هناك زوجة لن يريبها أن يتركها زوجها لأخري؟ ثم أين هؤلاء الرجال الذين يعاملون زوجاتهم مثلما كان يفعل رسولنا الكريم؟ أم أننا نتشبث بالرسول فقط عندما نريد أن نعدد فى الزواج؟!

أعود وأكرر إن للتعدد أسبابه، ولا أحد يستطيع أن يمنع شرع الله، ولكل حالة مبررات قبولها أو رفضها، وصاحب رسالة نوافذ الاشتهاء، لم يكن عادلاً، أو واضحًا، بل كان قاسيًا وظالمًا لزوجته أم أولاده التى تحملت الكثير من أجله.

ولو أقررنا حق كل رجل استراح ماديًّا وأصبحت لديه المقدرة أن يسارع بالزواج من أخرى، لما وجدنا امرأة تقف بجوار زوجها وتعينه على مصاعب الحياة، خوفًا من أن يتركها بعد ذلك ليتزوج بأخرى.

والحد الإنسانى الأدنى فى مثل هذه الحالة ـ بدلا من أن يعذبها ويهجرها فى الفراش عامين ـ أن يعرض عليها ما قرره ويترك لها حق الاختيار. المشكلة شائكة، وفيها آراء عديدة، طرحنا بعضها هنا ليكون حوارًا مفتوحًا بين أصدقاء بريد الجمعة وبين علمائنا.

(خ – ر)

على نور

اسمحوا لى بتقديم هذه الإضافة فى موضوع ما طاب إن الرخصة فى التعدد إنما جاءت فى سياق آية بدأت بشرط وختمت بشرط تلك هى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء:3).

إذا كان التفسير الذى قدمته السيدة عائشة لجملة وإن خفتم ألاّ تقسطوا فى اليتامى لايجلى الحالة، فإن العبرة فى آيات الأحكام ليس بخصوص السبب ولكن بعموم اللفظ، وهذا ا يجعل مبرر التعدد هو خوف عدم العدل، ويعزز هذا أن الآية ختمت فإن خفتم ألاَّ تعدلوا فواحدة. أعتقد أن هذه الصياغة نفسها تحرم التعدد لأنه من غير السائغ أن يتفادى الظلم، بإيقاع ظلم، ومن المؤكد أن الزواج بأخرى يوقع ظلمًا على زوجة ارتبطت بزواج الأصل فيه الواحدة، وإذا كان هناك استثناء فلابد من العدل، ولكن هذا العدل كما لاحظنا يوجد ظلمًا. فإذا قيل لماذا إذن لم يحرم القرآن التعدد صراحة، فالرد إن الإسلام لم يأت

لعصر واحد، وإنما جاء لكل العصور، وإن ما يصعب تحقيقه فى عصر، فإن القرآن يوحى فى صياغته بتحقيقه عندما تتهيأ أسباب ذلك، وهذا الأسلوب صورة من صور التدرج الذى قبله الإسلام، وهو هنا لايقتصر على الجيل الذى عاصر الرسالة، وإنما يمضى إلى بقية الأجيال.

وللإسلام فى التحليل والتحريم وسائل منها:

الأولى: أن يحرم فورًا ودون أية شبهة كما حدث بالنسبة لتحريم الشرك دون هوادة أو مساومة لأنه صميم العقيدة.

الثانية: أن يقيم التحريم أو التحليل على مراحل، خلال عمر الجيل المعاصر لنزول القرآن، كما حدث بالنسبة لتحريم الخمر ولإيجاب الصلاة والصيام.

الثالثة: الإباحة بشروط، مع صياغة ذلك بأسلوب يهدف التحريم عندما تتهيأ الظروف، كما فى حالة التعدد والرق.

وأعتقد أن الإسلام أمام ظاهرة متوطنة فى المجتمع العربى وقتئذ، هى تعدد الزوجات لما قد يصل إلى عشرة، رأى أن التحريم الفورى قد لايستوعبه المجتمع وقد تكون له ردود فعل سيئة، فنزل بالعدد، وفى الوقت نفسه فإنه أوجد ما يوجب الأخذ بالواحدة خشية الظلم عندما تتهيأ الظروف.

وقد اعترف الفقهاء بأن اشتراط المرأة عدم الزواج عليها هو حق لها، فإذا لم يف بالشرط كان لها حق فسخ الزواج، ولايسقط حقها فى الفسخ إلاّ إذا أسقطته ورضيت بمخالفته، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل ورجحه ابن تيمية وابن القيم، لأن الشرط فى الزواج أكبر خطرًا من البيع والشراء والإجارة، وهذه كلها من حقوق المرأة، وقد قال الرسول: «**إن أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج**».

وقد كنا قد دعونا فى مقال لنا: أن تشترط المرأة عدم زواج زوجها عليها، وهذا كما رأينا من حقها، ولكن اقترحت علينا السيدة سامية سعيد وهى إحدى السيدات المهمومات بالإصلاح الإسلامى، أن يرفق بقسيمة الزواج قائمة بما قد يراه الزوجان من شروط وأن يكون فيها هل تقبلين أن يتزوج عليك زوجك؟، ومثل هذا الشرط يحل القضية ويجعل الزواج على نور.

جمال البنا ـ رئيس الاتحاد الاسلامى الدولى

الخـائنــون

صور متكررة ومتعددة، لا أعرف هل تعبر عن خلل فى البيت المصري؟ هل هو الحوار الغائب؟ هل الجهل بالثقافة الجنسية يدفع للخيانة؟ هل نحتاج إلى مراكز ومعاهد لتأهيل الشباب قبل الزواج، أم أنه قبل وبعد كل ذلك غياب الدين واهتزاز منظومة القيم؟

أسئلة كثيرة، تشاركوننى فيها أصدقائى قراء بريد الجمعة لنفتح باب الحوار حول الخيانة فى مجتمعاتنا، وكيف يمكن فهمها حتى يمكننا مواجهتها.

لماذا يخون الرجل.. لماذا تخون المرأة؟ أتردد كثيرًا فى نشر رسائل الخيانة، لأنها مهما زادت فلا تمثل ظاهرة فى مجتمعاتنا، ولكن لفت انتباهى فى الفترة الأخيرة أن كثيرين يقعون بين مخالب الخيانة لأسباب متشابهة، البحث عن كلمة حلوة، عن حنان، حوار، أو مغامرة، والنتيجة دمار فى البيوت وخلل فى العلاقات الإنسانية.

اتصلت بى سيدة منذ أيام لتعدد لى محاسن زوجها، وأنه لم يهنها يومًا، ومع ذلك انجرفت فى علاقة مع زميلها وطلب منها أن تطلب

الطلاق ليتزوجها عرفيا، الغريب أن المرأة تفكر فى الموافقة، تفكر فى هدم بيتها وترك أولادها، والتضحية بزوج مثالى، كل مشكلته أنه لا يقول لها كلاما حلوًا، تضحى بعلاقة فى النور، تحفظ لها كرامتها وإنسانيتها، لتذهب إلى علاقة خفية فى الظلام، لن تسمع فيها إلاّ ما يؤلمها ويهينها. والأغرب من ذلك أن الإنسان قديمًا عندما يرتكب معصية كان يستتر، إلاّ أن بعضهم الآن يوثق خيانته بتصويرها بكاميرا الموبايل لتصبح وثيقة تدينه، كما حدث تمامًا فى رسالة تلك السيدة التى عبث ابنها بموبايل زوجها، فاكتشف صورًا خليعة لصديقتها مع والده، فأنهار الابن وانكسرت صورة والده الذى حاول تقديم مبررات واهية، مثل انشغال الزوجة بالأبناء، أو البيت، على الرغم من أنه لا توجد مبررات للخيانة، توجد مبررات للانفصال، لاختيار شكل للحياة لا يتنافى مع القيم والأخلاق والدين. هذه رسائل تجسد طريق الخيانة والثمن الكبير الذى يدفعه طرفاها.

الصدمة

أنا رجل فى الأربعينيات من عمرى، متزوج منذ 15 عامًا، ولدى طفلان هما كل حياتى، كنت أعيش سعيدًا هانئًا، بعملى الناجح، وزوجتى الرقيقة الملائكية حتى أسابيع قليلة مضت، ثم تحول كل شىء فى أيامى إلى النقيض وأصبحت أتعس البشر.

مشكلتى، أو مأساتى بدأت منذ شهرين، عندما كنت جالسًا مع أصدقائى بالنادى، وبيننا مهندس كمبيوتر، وحكى لنا أنه اكتشف أن أولاده يدخلون على المواقع الإباحية على الإنترنت، بعد أن وضع برنامجًا على الجهاز يرصد ويسجل المواقع التى يدخل عليها أبناؤه، والمحادثات التى يجرونها، وهذا البرنامج ساعده على كشف ما يفعلونه، ومكنه من إنقاذهم، وبدأ كل منا يدلى بدلوه حول تصرفات أبناء هذا الزمان، وأننا مهما فعلنا لتربيتهم التربية الصحيحة، فإن هناك عوامل أخرى تتدخل فى التربية، ونعجز عن محاصرتها.

وكان رأيى أن التربية السليمة المبنية على الدين الصحيح، والصداقة بين الوالدين والأبناء هى خير عاصم. واستشهدت على ذلك بعلاقتى

مع ابنى المتفوقين فى الدراسة والرياضة، وكيف أننى أعاملهما كرجلين، وأسمح لهما بطرح أى أسئلة لأرد عليهما أنا وزوجتى فى إطار أخلاقى ودينى حتى أجنبهما أية معلومات خاطئة، واعترفت لهما بأن زوجتى تلعب الدور الأكبر فى رعاية ابنىَّ، وتتابعهما فى النادى كما فى البيت، وتكافئهما على التزامهما بالصلاة فى مواقيتها. ويومها أنهيت كلامى برفضى لفكرة التلصص على الأبناء، خوفًا من اكتشافهما هذه المراقبة، فينكسر جدار الثقة بيننا.

انصرفت مقتنعًا بما قلته، وإن كان بداخلى صوت آخر من خاف سلم ومن يدرينى ألاَّ يتأثر ابن لى بصديقه، أو يدخل على واحد من هذه المواقع بطريق الخطأ، فينجرف بعيدًا عن رقابتى وعن عيون زوجتى. فى الصباح، اتصلت بصديقى وطلبت منه أن يعد لى نسخة من هذا البرنامج، ومررت عليه بعد الظهر فى عمله وأخذتها منه. وقررت ألاّ أخبر زوجتى حتى لا أثير قلقها على الأبناء، أو تخطيء فتخبرهما بما فعلت فيغضبا منى أو يتحايلا على البرنامج، فهما فى سن حرجة، قد تدفعهما إلى المغامرة والتحدى. فى المساء، انتظرت حتى نام الجميع، وجلست أمام جهاز الكمبيوتر وحملت البرنامج عليه، ونمت قرير العين. نسيت أو تناسيت الموضوع لعدة أيام، ثم قررت أن أطل على الجهاز حتى يطمئن قلبى، ولكن الأقدار كانت تخبيء لى ما سيدمر هنائى ويحزن قلبى. الصدمة ياسيدى، أن ابنىَّ لم يدخلا إلى هذه المواقع

ولم يرتكبا إثمًا، لكنها زوجتى المصون هى التى كانت تفعل ما لم أصدقه حتى الآن. زوجتى ذات المركز المرموق، الطاهرة، العفيفة، الملتزمة، أم أبنائى، كانت تتحدث عبر النت مع رجل آخر.. ليست دردشة، ولا صداقة.. تقول له إنها تحبه، ولاتطيق زوجها ـ الذى هو أناـ وهو الآخر كان يعبر لها عن حبه. لم أصدق نفسى، فقدت صوابى.. لماذا، متى، ومع من؟

سيدى.. لست زوجًا تقليديًّا، لا أسمعها الكلمات الجميلة، أو أهمل مشاعرها، أو أقصر فى التزاماتى تجاهها. كانت تقول إنى زوج مثالى، وإنها سعيدة وهانئة معى، بل كانت تخشى علىَّ من النساء، وعلى حياتنا المستقرة من الحسد. لماذا؟ سؤال طرحته على نفسى مئات المرات، فتشت عن إجابة ولم أجد، ليس لديها فراغ حتى تبحث عن ملئه، فعملها ومسئولية الابنين وهما على أعتاب مرحلة الشباب، لا يتركان فرصة للإحساس بالملل والفراغ. ولست قاسيًا أو غائبًا حتى تستبدل بى آخر، حتى لو عبر النت.

سيدى.. قضيت ليلتى فى غرفة المكتب، لا أطيق الدخول إليها فى غرفة نومى، لا أعرف ماذا يجب أن أفعل.. توضأت وصليت الفجر وبكيت طويلاً فاسترحت قليلاً، وحسمت أمرى بألاَّ أخبرها الآن بشيء، وقررت مراقبة الكمبيوتر لمدة أسبوعين، لعل هناك خطأ ما.. لعلها مغامرة طارئة.

بعد الأسبوعين، لم يتغير شيء، زوجتى تخوننى مع رجل آخر عبر النت، لم يكن هناك فى الحوارات المسجلة ماينبيء بأن بينهما لقاءات، وإن لم يكن فيها ماينبيء بعكس ذلك. زوجتى التى قضيت معها 15 عامًا من عمرى، كاذبة، ممثلة، شيطانة وليست ملاكًا كما كنت أظن. انتهزت فرصة غياب ابنينا عن البيت، وواجهتها بخيانتها، فانتفضت وغضبت كذبًا، وعندما استمعت إلى التسجيلات، بكت وادعت الانهيار، وأقسمت بأغلظ الايمان أنها كانت غلطة لن تتكرر، وساقت لى مبررات واهية لم تؤثر فىَّ ولم أقبلها. فقلت لها إن علاقتنا انتهت وأنى سأحضر المأذون فى الصباح حتى ينتهى الأمر فى هدوء حتى لا يعرف الولدان فندمر مستقبلهما، فتقبلت قرارى راضخة واجمة. فى الصباح، كنت أستعد للخروج لاحضار المأذون، فوجئت بالولدين يطلبان منى أن أوصلهما إلى المدرسة لمعرفة النتيجة، وعند باب المدرسة وجدنا زملاءهما يهنئونهما بحصولهما على المركز الأول. وسط فرحة الولدين وتهليلهما، غرقت فى التفكير، كيف لى أن أسرق فرحتهما؟ وهل سيحافظان على تفوقهما بعد تطليقى أمهما؟.. وماذا سأقول لهما عن سبب الطلاق؟ عدت معهما إلى المنزل، احتضنتهما زوجتى وبكت، اعتقدا أنها دموع الفرح. لا أعرف لماذا فعلت ذلك، دخلت معها إلى غرفة النوم، وقلت لها إنى لن أطلقها من أجل الولدين، وإن كان حبها قد مات فى قلبى إلى الأبد.

سيدى.. لا أعرف كيف أصف لك شعورى منذ ذلك اليوم.. تغيرت تمامًا، لم أعد أضحك فى البيت أو فى العمل.. أصبحت أكره رؤية وجهى فى المرآة حتى لا أرى ذلك الجبان الذى ضحى بكرامته من أجل ولديه. حتى ولدى أصبحت لا أطيق النظر إليهما، أشعر بأنهما نقطة ضعفى، وسبب هوانى وذلى. كل ليلة أدعو الله أن تموت زوجتى لتزيح عنى هذا الكابوس.. فهى بالنسبة لى ميتة.. أخشى على ابنى من مواجهة الحقيقة، وفى الوقت نفسه أشعر بأنى أصبت بأمراض نفسية وأحتاج إلى طبيب، لأنى فى حاجة إلى عودة إحساسى باحترامى لنفسى، وعودة مشاعرى الطبيعية تجاه ابنى. هل كان قرارى صائبًا؟.. هل أخطأت؟، أسئلة كثيرة تحاصرنى ولا أعرف لها إجابة، فهل أجد لديك ولدى أصدقاء بريد الجمعة مايساعدنى على تجاوز هذه المحنة؟!

* * *

سيدى : أقدر جيِّدا إحساسك بالصدمة، فما أقسى تلك اللحظة التى نكتشف فيها أن سعادتنا التى عشناها سنوات كانت وهمًا، وأن الذين أحببناهم واعتقدنا أنهم يحبوننا، لا يستحقون حبنا. إحساس قاتل يصيب الرجل عندما يكتشف فجأة ودون مقدمات، أن التى نامت فى أحضانه سنوات، أسمعته حلو الكلام، أشادت برجولته وكرمه، وربت أبناءه خير تربية، تخونه مع رجل آخر، لا تعرفه، لم يجلس بجوارها وهى مريضة، لم يشاركها أيام الشقاء ولا الأحلام

الصعبة، لم يحضر معها أحلى لحظات عمرها، منذ لحظة زفافها وحتى إنجابها، وفرحها بنجاح أبنائها. هل هناك امرأة عاقلة تضحى بكل هذا، أو تهدم كل حياتها فى لحظة ضعف اشتاقت فيها إلى مغامرة، أو أحست بفراغ فملأته بخيانة إلكترونية؟

سيدى.. لدى فى بريدى، عشرات من مشاريع الخيانة الالكترونية، والحقيقة أن أغلب أبطالها من الرجال، نساء يشكين من أزواجهن بسبب علاقات غريبة عبر الإنترنت، بعضها يقف عند حد التواصل عبر الشاشة، وبعضها يمتد إلى ما هو أكثر من ذلك، وهذا يعنى أن جيل الآباء هو الذى يحتاج إلى رقابة لأنه لم يكن مؤهلاً أو مستوعبًا لهذه التكنولوجيا التى يجيد أبناؤنا استغلالها أفضل منا. عودة إلى رسالتك المؤلمة أقول لك إننى متوقف بدهشة أمام تصرف زوجتك، فإذا كانت سعيدة هانئة معك كما قلت، تحسد نفسها عليك وتراك زوجا مثاليًا، فلماذا تخونك؟ وكيف لامرأة صالحة تعلم أولادها الصلاة وحفظ القرآن، وتدفع بأبنائها إلى التفوق كل عام ترتكب مثل هذا الخطأ؟ تناقض يثير فى نفسى الشك فى تفاصيل حكايتك، وأخشى أن يكون هناك ما تخفيه فى علاقتكما تحت تأثير الغضب، لأنه نار يخفى دخانها ما تأكله. فإذا كنت مستريحًا لما ذكرته فى رسالتك، فدعنى أذكرك بأن الزواج نصيب قد يكون رابحًا أو خاسرًا، ووقتها إما أن نكمل الرحلة، أو يذهب كل فى طريقه، فلا يصم الرجل أو يسىء إليه أن زوجته

خائنة، وكذلك المرأة مع الرجل الخائن. فهى ليست على اسمك، مثل أمك أو أختك أو ابنتك لن تستطيع من جريمتها هربًا، زوجة خائنة طلقتها، ولكن هل زوجتك خائنة؟ وهل يمكن أن تصفح عنها وتغفر لها؟ أم أنك ستقضى حياتك فى شك دائم؟ منذ سنوات بعيدة استعان بى زميل لمساعدته فى تطليق زوجته بعد أن ضبطها تخونه مع جاره، واتفقا على أن يأخذ هو الأبناء وتم الطلاق، وفرقتنا الأيام، وبعد أكثر من عشر سنوات التقيته وسألته عن أخباره، فقال إنه رد زوجته مرة أخرى، وبرر ذلك: بأنه هو الآخر كان يخونها، وأن ما حدث كان عدلاً، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا، فلماذا نقسو نحن البشر ولا نقبل المغفرة؟

أقول لك تلك الحكاية لأذكرك بأن قدرات الإنسان متفاوتة من شخص لآخر، فما ترضى به، لا يقبله غيرك. وأنت لا تملك دليلاً على خيانة زوجتك، نعم ما فعلته خيانة، ولكن إذا أيقنت أنها لم تزد على دردشة عبر النت فهل يمكنك أن تغفر لها وتمنح أسرتك فرصة جديدة؟ إذا كانت اجابتك نعم، فاصفح صفحًا جميلاً، وابدأ من جديد دون أن تعذب نفسك أو تعذبها وتدمر ابنيك. أما إذا لم تستطع فلا يكلف الله نفسًا إلاّ وسعها، قم بإنهاء هذا الأمر فورًا ولا تجعله معلقًا معذبًا للجميع، فمثل هذه العلاقة مع إحساسك المدمر لن يصيبك وحدك بالمرض النفسى، بل سيدمر أيضًا ابنيك وأمهما.

سيدى.. البتر لعضو قد يكون فيه إنقاذ لباقى الجسد. والاختيار مؤلم لكنه قد يكون الأنسب، وأنت الوحيد الأقدر على الاختيار بين الحلين، ولن أذكرك بأن تحرص على تجنيب ابنيكما تلك التفاصيل المؤلمة، فقد تنجو أنت وهى وتبدآن من جديد، أما هما فقد يحيل هذا الشرخ مستقبلهما إلى جحيم. واعتقد أنك ـ بما فعلت وضحيت من أجلهما ـ لن تقبل بذلك أبدًا، وتذكر أن من ستر عبدًا فى الدنيا ستره الله يوم القيامة.

وجوه على النت

أنا ياسيدى رجل فى الخامسة والثلاثين من عمرى، متزوج من 9 سنوات، وأعمل بالتدريس الجامعى فى إحدى كليات القمة، وزوجتى جامعية ولنا ابنتان. ودائمًا ما يشيد بى كل من أتعامل معهم من الوزير إلى الغفير، لحسن أخلاقى وتواضعى وتدينى وكانت حياتنا حياة طبيعية. لأسباب كثيرة أصبح والدا زوجتى مقيمين معنا بصفة دائمة، وتدريجيًا بدأت الخلافات الطبيعية البسيطة جدًّا بينى وبين زوجتى تأخذ أبعادًا متضخمة، تصل إلى حافة الانفصال نتيجة التدخل المتزايد فى حياتنا، ولولا أن الله مَنَّ علىَّ بالهدوء، وعدم التسرع فى اتخاذ القرار لربما كان هذا البيت قد انهار. وأصبحت أنا ضيفًا عليهم وكأننى تزوجت زوجتى ووالديها، وبدأ تباعد تدريجى بينى وبين زوجتى، لأن والديها وبنتينا يأتون دائمًا قبلى، وسارت بنا الحياة على هذا الوضع إلى أن حدثت آخر مشكلة بسيطة بينى وبين زوجتى، وفوجئت بها لم أتوقعه منها وأهلها، فقد ثارت ثورة عارمة جدًّا واتهمتنى بأشياء كثيرة جدًّا، ووصلنا إلى اعتاب الانفصال وتركت البيت وذهبت إلى المصيف مع والديها، وأنا وحيد فى البيت، وبعد شهرين كاملين من البعد

والقطيعة، ولربما الكراهية التى حلت محل الحب، مكننا الله من العودة إلى حياتنا الطبيعية مع حدوث انسحاب جزئى لوالديها، فقد مشى أحدهما وبقى الآخر كمرحلة انتقالية إلى أن يعودا كلاهما إلى بيتهما العامر، كما أتمنى إن شاء الله، وتجاوزنا هذه المرحلة الصعبة جدًّا التى كادت تودى ببيت مسلم لأسباب أقل من توصف به أنها تافهة وما أنزل الله بها من سلطان.

المهم سيدى هو ما حدث خلال الشهرين اللذين قضيتهما وحيدًا لا زوجة ولا صديق إلاّ جهاز الكمبيوتر وشبكة الإنترنت. وكنت فعلاً فى أشد حالات الضعف الإنسانى، وأتمنى أن أجد من أستطيع أن أتكلم معه أيا كان رجلاً أو امرأة، وإلاّ فقد أصاب بمرض نفسى من الضغط العصبى والنفسى الشديد الذى ألم بى خلال هذه الفترة العصيبة. المهم دخلت لأول مرة إلى أحد برامج الدردشة ما يسمى بالشات، ووجدت عالمًا جديدًا لا مفر إلاّ أن يجذب إليه كل من يدخله لأنه ببساطة لا قيد عليك فى شيء، فأنت تختار لنفسك الاسم والهيئة التى تحبها، وتتكلم كما تريد ويصغى إليك من يجذبه كلامك ويتجاوزك من لا يتجاوب معك، وفى جميع الأحوال كون كل من يتكلمون معًا لا يرون بعضهم البعض، فهذا يضفى راحة نفسية هى أنك لست بمفضوح أمام الخلق كما فضحتنى زوجتى، وقد يضفى

غموضًا وملائكية فى بعض الأحيان على بعض الاشخاص الذين يستهويك كلامهم وأراؤهم، ولا أكذبك قولاً إن هذا الشات أصبح سلواى الوحيدة ولربما بدأت مرحلة إدمانه وهى مرحلة جد خطيرة.

المهم الذى قد يهم أخانا صاحب رسالة الصدمة، أننى ظننت بداية أننى سأجد كل من فى الشات من الشباب أو المراهقين بطبيعة الحال، إلاّ أننى فوجئت بوجود الكثير والكثير من الرجال الأفاضل والنساء الفضليات، أزواجًا وزوجات، وأنا مصمم على أنهم أفاضل وفضليات إلاّ قلة قليلة نسأل الله لهم الهداية ـ تكلمت مع الكثير لكنى سأركز كلامى على العلاقة مع الجنس الآخر، التى تتلون بين الاحترام وعدمه طبقًا لطبيعة الطرفين أو أحدهما على الأقل، تكلمت معَ فتيات صغيرات وشابات وسيدات، وجدت منهن الداعية الإسلامية التى تدخل إلى هذه المواقع للنصح والتوجيه، ووجدت شابات وفتيات يبحثن عن أزواج المستقبل، ووجدت شابات ومراهقات وسيدات يتبادلن الكلام حول نصرة المقاومة الإسلامية، وموقف العرب وأمريكا وغيرها من الأحداث الجارية، ووجدت شابات ومراهقات يدخلن لأغراض التسلية والضحك والمرح، كما وجدت - وهم قلة - من يبحث عن الفحش والرذيلة والعياذ بالله، وهم يتعرضون من باقى أعضاء الشات إلى وابل من الهجوم والذم الذى يضطرهم إلى المغادرة.

أما عن بيت القصيد وهن النساء المتزوجات فقد كنت أسألهن كما

يسألنني عن الأسباب التى تدعوهن ودعتنى إلى دخول مواقع الدردشة، وكما سبق وأوضحت أنت لا ترى من تكلمه، لذلك نسبة الصدق فى الكلام مرتفعة والأسباب كلها شبه متطابقة من انقطاع حبل الكلام بين الزوجين، إلى انشغال أحدهما عن الآخر، إلى الإحساس بالإهمال من الشريك، وكلها أسباب لا علاقة لها بوجود فراغ من عدمه، كما يقول صاحب الرسالة، لأن منهن الكثيرات ممن لايشكين فراغًا فى الوقت، لكن يشكين فراغًا فى العاطفة والتبادل الإنسانى، والذى من المفترض أن يوفره كلا الشريكين لبعضهما. لذلك فعلى هذا الزوج أن يتأكد من أن له يدًا فى هذا الموضوع وإن لم تشعره هى أو يشعر هو بذلك، فادعاء الكمال فى الحياة الزوجية كما يدعى هو دفن للرءوس فى الرمال، وليس إصلاحًا لها ولا تجديدًا لشبابها. ولا أخفيك أيضًا أن منهن من تعتبر هذه الدردشة تجديدًا لحيويتها تنعكس بالايجاب على علاقتها مع زوجها وأبنائها لأنها تتحرر من الكثير من القيود، وتبوح بما لا يمكنها البوح به، لأحد حتى لزوجها وهو فى كثير من الحالات هم ثقيل يجثم على النفوس، ولربما لا يدرى الطرف الآخر عنه شيئًا. وهناك نوع أخير واسع الخيال يكون لنفسه فى الإنترنت شخصية جديدة، ليست بشخصيته الحقيقية التى يعرفها بها الناس، لتحصل على أقصى دعم نفسى وعاطفى ممكن من شركائها فى الشات، ولربما صنعت لزوجها نموذجًا يتعارض مع الواقع طلبًا

للمزيد من التعاطف والإشفاق والتواصل، وهى احتياجات نفسيه تحتاج لأطباء نفسيين ليفسروا دوافعها، إلاّ أنى مقتنع أن للزوج دورًا فيها كما أن لزوجتى دورًا فى دخولى مواقع الدردشة. لذلك أقول لهذا الزوج صاحب رسالة الأسبوع الماضى الذى فوجيء بما فعلته زوجته عبر الانترنت، إن ما ذكرته عن غيرة زوجتك عليك وخوفها على حياتكما هو حق، فمن المؤكد أنها تحبك كما تحب أبناءك، أما عن صدمتك فيها وفى علاقتها بالرجل البديل على الإنترنت، وتبادلهما كلمات الحب فأنت مطالب بقراءة ردى من بدايته لتعرف زوجتك من أى أنواع السيدات اللائى ذكرتهن فى ردى، فربما كانت واسعة الخيال تعيش عالمين منفصلين، متصورة أن كليهما لا يمت للآخر بصلة، وأنها بذلك لاتخون مادام الموضوع كله مجرد كلام، وأنت ذكرت أنك لم تجد فى سياق الكلام بسابق أو لاحق تلاقيهما. لا تعذب نفسك يا أخى فقد اخترت الاختيار السليم، ولكى يكتمل بناء ما تبنيه اعف عنها واقترب منها قربها منك، وستعلم منها كما علمت فى السابق ما يرضيك عنها، ولربما صدقتك ما الذى دفعها إلى ذلك. وأقول فى الختام لأى زوجين لا يتصور أحدكما فى أى مرحلة عمرية كانت، أن احتياج الآخر إليه من باب الكماليات لا الأساسيات، فالزواج الناجح هو المبنى على علاقة متينة بين الزوجين، علاقة صداقة وأخوة ومحبة وأبوة وأمومة وزوجية فى آن واحد، لأن كليكما استغنى بالآخر عن كل ذلك، لذلك فإن أى

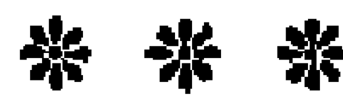
قصور فى أى من هذه الأشياء قد يؤدى إلى علاقات زوجية ظاهرها القوة والحب، وباطنها الضعف والاحتياج النفسى والعاطفى، الذى قد يؤدى بصاحبه إلى البحث عنه فى أى مكان كان، ولا أخفيك أخى أننى أحاول حتى لحظة كتابتى هذه السطور، وبرغم عودة زوجتى وابنتى، التخلص من إدمان الشات والعودة التدريجية إلى سابق حياتى الطبيعية إن شاء الله تعالى.

الخائن

أنا ياسيدى أبلغ من العمر36 عامًا، وأعمل بمهنة المحاماة تزوجت منذ 11 عامًا، وأنجبت 3 أولاد ذكور أكبرهم عمره عشر سنوات، وأصغرهم عامان. زوجتى السابقة ارتبطت بها بعد أن توجهت لربى، وتمنيت أن يرزقنى بزوجة صالحة، وكانت نعم الزوجة. عشنا أنا وهى وأولادنا حياة هانئة لم أر منها إلاّ كل خير، فكم كانت زوجة مطيعة لزوجها تهتم بأولادها ولم أر منها ما يعكر صفو علاقتنا، ولم تر منى أدنى شيء ولا أبالغ إن قلت لك كان كل من حولنا يحسدوننا على الاستقرار وعلى الحب المتبادل بيننا، فلم يرتفع صوت لأحدنا على الآخر ولو لمرة واحدة. حدثت الفاجعة عندما دخلت حياتنا إنسانة، ظلت تطاردنى بكلماتها وبنظراتها، وحذرتنى زوجتى منها إلاّ أننى كنت أنظر إليها بعين الشفقة، وأوصى زوجتى بمعاملتها بالحسنى لظروفها، فهى زوجة صديق يعمل معى وأعرف ظروفه الصعبة، وذات يوم اتصلت بى وجاءت إلى منزلى وكانت زوجتى غير موجودة بحجة أنها تريد مبلغًا من المال لمرض ابنها، وبعد أن أعطيت لها المبلغ

أخبرتها أن زوجتى ليست بالمنزل، قررت أن تجلس لتستريح من المشوار، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: لا يخلو رجل بامرأة إلاَّ وكان الشيطان ثالثهما.. ولم أدر بنفسى إلاَّ وقد ارتكبنا المحظور ووقعت بكل سهولة فى فخها بعد أن كنت أرفض النظر لأى إنسانة أصبحت فى لحظة خائنًا وعاصيًا ومرتكب كبيرة من الكبائر، وكانت أول مرة فى حياتى أضعف وكانت هى السبب وقبل أن تمشى من منزلى قمت بتصويرها كى أهددها بالخروج من حياتى، والبعد عنى ومضت. ووقتها لم أنم الليل ولم يغمض لى جفن، بكيت ولمت نفسى على ما اقترفت، وقررت البعد عنها نهائيًّا، وطلبت من زوجتى أن تجهز نفسها فى زى عروس حتى أعود إليها إحساسًا منى بالذنب نحوها. إلاّ أن القدر كان أسرع، نسيت أن أمسح الصور التى على كاميرا الفيديو، ووقعت فى يد زوجتى فكانت الصدمة الكبرى لها وبدلاً من أن أجدها بزى عروس عند عودتى وجدتها خرجت بلا عودة، بعد أن صممت على الطلاق، وقمت بطلاقها وإعطائها جميع حقوقها اعترافًا منى بذنبى نحوها دون أن تلجأ إلى أحد أو الدخول إلى محكمة. وحاولت جاهدًا أن تعود للمنزل وقد أقسمت أمام نفسى وأمام الله، بأننى لن أعود لأى خطأ مرة أخرى ولم يشفع لى عندها 11 سنة مليئة بالحب وحب أولادى لها ولى. وإذا كنت قد اعترفت بخطئى وقررت عدم العودة إليه، ألم يكفنى هذا وأين ما أوصانا به الله سبحانه

وتعالى من التسامح والعفو والرحمة؟ ألم تفكر لحظة واحدة فى مستقبل أولادها؟ أتوجه عبر بابكم إليها بأن تعود، لأن لذة الانتقام غير دائمة، وأن التسامح هو العقاب الأكبر لى، وأن تطبق قاعدة أهون الضررين وأخف الشرين، وأن تمد يدها لى للرجوع الى حياتنا السابقة، وإن لم تعد أرجوها أن تسامحنى وكفى ما حدث لى، وهذا هو ثمن الخيانة أهديها للقراء حتى لا يتهاون أحد فى شرع الله، فخطأ مرة واحدة أضاع عطاء11 سنة.



سيدى : لا أعرف لماذا تذكرت الله سبحانه وتعالى ووصاياه بالعفو والرحمة والتسامح، بعد أن ارتكبت خطيئتك ونسيت أوامره ونواهيه عن المعصية الكبرى، فأنت تطالب زوجتك بما عجزت عنه فاستسلمت لشيطانك ووقعت فى غواية تلك المرأة، ولا أعتقد أن كل شيء تم مصادفة، فحتى تأتى إلى بيتك، شقة الزوجية، لابد من أنك أخبرتها بخروج زوجتك، وهذه جرأة شديدة على المعصية، وعلى إهانة أم أولادك التى ماقصرت معاك يومًا ـ بشهادتك لها ـ ولا أقصد بتلك الملمات تحريض مطلقتك على عدم العودة إليك، ولكنى أرفض مبرراتك الواهية للوقوع فى الخطأ، عليك أن تعترف أمام نفسك بجرم ما ارتكبت.

أما أم أولادك فأتمنى أن تقرأ رسالتك، وتسأل نفسها: هل أنا قادرة على العفو والعيش مع هذا الرجل؟ وهل معاملته الطيبة لى طوال أحد عشر عاما تغفر له هذه الخطيئة الوحيدة؟ وهل نشأة الأبناء بين والديهما أفضل من الوضع الحالي؟

وإجابتها عن تلك الأسئلة هى التى ستحدد قدرتها على اتخاذ القرار المناسب، وإن كنت أميل إلى تحريضها على العودة لأن العفو ـ لمن يقدر عليه ـ فى مثل حالتكما مكاسبه أكبر بكثير من خسائر الانتقام.

خائنة ولكن!

ترددت كثيرًا فى الكتابة إليك، خوفًا من سهام نقدك وكلمات القراء، الذين أوقن بأنهم سينبذوننى وسيصفوننى بصفات سيئة، ولكنى توكلت على الله، وقررت عرض مشكلتى بعد أن ضاق بها صدرى، خصوصًا بعد أن قرأت فى بريد الجمعة رسالة لقاريء يعيش مشكلة تشبه مأساتى، وإن كانت أخف منها قليلاً.

الحكاية باختصار يا سيدى، أنى شاب عمرى لم يتجاوز الثلاثين، أعمل فى وظيفة مرموقة، تزوجت منذ ثلاث سنوات فقط، من فتاتى التى تصغرنى بخمسة أعوام، تزوجنا بعد قصة حب رائعة، كنت أحس مع فتاتى أنى صديقها وأبوها قبل أن أكون زوجها، فقد عانت حبيبتى كثيرًا بعد انفصال والديها، حيث تزوج كلاهما من آخر وأخرى، وعاشت هى مع أمها وزوجها عيشة منطوية كئيبة، تعانى الوحدة والحرمان من الحنان والاحتواء، لذا كنت أتفهم صمتها الطويل فى صحبتى، وعدم مقدرتها على التعبير عن نفسها، تزوجنا وكلى رغبة فى تعويضها عما عانته.

بدت حياتنا سعيدة، آمنة، في شهورها الأولى، كان يقلقني أحيانًا رغبة زوجتي في الانسحاب، وعدم إقبالها على العلاقة الخاصة بيننا، ولا أخفيك سرًا أني كنت أستريح كثيرًا لموقفها هذا، لأني كنت أبذل جهدًا كثيرًا في عملي، وأغيب أوقاتًا طويلة عن البيت، وأعود مجهدًا، لذا فقد كان تصرفها يزيح عني الإحساس بالذنب نتيجة لتقصيري معها. ولم أر في تصرف زوجتي وانصرافها عن الترحيب بالعلاقة الحميمية أي شيء يثير الريبة، خصوصًا أنها حملت في شهورها الأولى، وأنا أعرف أن بعض الزوجات يفضلن الابتعاد في تلك المرحلة. كانت زوجتي تقضي وقتًا طويلاً أمام جهاز الكمبيوتر، ولم أسألها يوما ماذا تفعل، فأنا أثق فيها كل الثقة، وأرى في هذا الجهاز العجيب ما يشغل وقتها في غيابي. وذات يوم، نسيت زوجتي أن تغلق الجهاز بعد أن غلبها النوم، فجلست أمام الكمبيوتر، لأكتشف أن زوجتي كانت تدير حوارًا مع أحد الأشخاص من خلال الشات، أقل ما يوصف به أنه حوار قذر ومتدن، طبعًا كانت تستخدم اسما مستعارًا، فغضبت بشدة ولكني آثرت ترك الأمر حتى الصباح. لم يغمض لي جفن، أعدت الإفطار وجلسنا، فقلت لها إنها نسيت أن تغلق بريدها قبل أن تنام، فتلون وجهها واضطربت، ولم تنطق بكلمة، فأخبرتها أني قرأت كل شيء، لم ترد، بل هرولت من أمامي باكية إلى غرفة نومنا، فلحقت بها ومع أسئلتي الصارخة: لماذا تخونيني؟ كيف تفعلين ذلك؟، هل قصرت معك في شيء؟ بعد فترة طويلة من البكاء، قالت لي إنه مجرد

لعب، تشغل به وقت فراغها، وأن من تحادثه لا يعرف من هى، ولم تقل فى حوارها معه أى معلومات حقيقية عن نفسها أو عن حياتنا. حوار طويل انتهى بإعلانها ندمها على ما فعلت، وطلبت منىِّ نسيان ما حدث، ولن تعود إليه مرة أخرى، ولا أخفيك سرًا، أنى التمست لها الأعذار، وعفوت عنها من قلبى، وقررت ألاّ أجرحها وألاّ أعود للحديث فى هذا الموضوع. ومرت أيام أخرى فىَّ نهر حياتنا، كانت زوجتى ترفض خلالها أن أقترب منها، دون أن يثير تصرفها لدىَّ أى شك أو ريبة. وفى يوم أسود، زارنى فى بيتى صديق، يعمل مهندسًا فى مجال التكنولوجيا، وقال لى إنه يحمل برنامجا معجزة، يسجل كل ما يدور على جهاز الكمبيوتر ويحفظه صوتًا وصورة، وعرض تحميله على جهازى المنزلى، فلم أرفض ولم أرحب، وأرجو أن تصدقنى، لم أفكر وقتها فى زوجتى، أو أن يكون هذا البرنامج فرصة لمراقبتها. ومرت أيام، وذات مساء كانت زوجتى نائمة، وكنت قلقًا يخاصمنى النوم، فقررت الجلوس أمام النت، وتذكرت برنامج صديقى وقلت لماذا لا أتصفحه، مجرد لعب وتضييع للوقت، وهنا كانت فجيعتى ومصيبتى، زوجتى، حبيبتى، أم طفلى القادم، الوديعة، الخجول، الصامتة دومًا، عارية تمامًا، تخفى وجهها فقط بإيشارب، تفعل أشياء غريبة مع شخص آخر عبر الشات والكاميرا، تقول ألفاظا مفزعة، لم أسمعها منها يومًا، تفاصيل أعف عن ذكرها وأثق أنك لا تستطيع نشرها. فقدت صوابى فكرت فى قتلها، سارعت بالدخول إلى غرفة نومنا،

نظرت إليها، وهى نائمة كالملائكة، فأحسست بضعف غريب وأنا أنظر إلى ابنى المقيم فى بطنها، فانسحبت باكيًا من الغرفة؟ جلست أتساءل: لماذا تفعل ذلك إذا كانت ترفضه معى؟ هل هذا الشخص تحبه؟ وإن كانت كذلك فلماذا لا تلتقيه، ولماذا يناديها باسم غير اسمها؟ هل هى خائنة أم أن ما فعلته لعبًا وتضييعًا للوقت؟

أسئلة كثيرة كانت لها إجابة واحدة، الطلاق، عندما وصلت إلى هذا الحل، أصابنى الفزع وتحولت إلى محاكمة نفسى، لقد انشغلت عنها كثيرًا، لم أبذل جهدًا لاحتوائها، على الرغم من معرفتى بما عانته من عذاب ووحدة منذ طفولتها.. كنت أنانيًّا بحثت عن نجاحى واسترحت لابتعادها عنِّى. وجدت نفسى تميل إلى التماس الأعذار لها، مع وجود صوت صراخ فى داخلى يتهمنى فى رجولتى. أعرف جيِّدا أن كل من يقرأ حكايتى، سيلومنى، وسيرى أن على تطليقها فورًا دون تردد، ولكنى وبعد أيام طويلة من اكتشافى تلك الخيانة لم أجرؤ على مواجهتها بما عرفت، فأنا أخشى أن يقودنا الحوار إلى الطلاق، قبل أن يأتى طفلى الأول، كما أخشى عليها من الضياع، وأدعو الله أن تقدم لى مبررات أقبلها، فلدى مساحة غريبة من الاستعداد للعفو والسماح، ولا أعرف كيف أنهى هذا الموقف المؤلم والسخيف.... فبماذا تنصحنى؟!

* * *

سيدى : نعم رسالتك ستستفز القراء، خصوصًا الرجال، كما استفزتنى، وسيكون الرد الأولى المتسرع، والذى يعكس رفض خيانة المرأة، أيًا كانت صورة هذه الخيانة، مادية أو معنوية، هو أنك لابد أن تطلقها، فهى لا تستحق أن تبقى معك، فعلى الرغم من أنك كنت كريمًا معها فى خيانتها الأولى، وعفوت عنها، فإنها استخفت بك، وزادت من خيانتها، كما أن المتعارف والمتفق عليه أنه لا توجد مبررات للخيانة، فكل ما ذكرته مبرر للصدام، للحوار، وحتى للانفصال، أما الخيانة فلا، فمجتمعاتنا تغفر الخيانة للرجل، وتتعامل معها على أنها نزوة، وأن المرأة عليها أن تستوعب وتخوض معركتها مع امرأة أخرى، من أجل استرداد زوجها، حفاظًا على بيتها، وهذه رؤية لها علاقة بثقافة المجتمع - ذكورًا أو إناثًا - وليس لها أى علاقة بالشرع والدين.

أقول لك إن هذا الحل هو الطبيعى والأيسر، والذى سيميل إليه الأغلبية، ولكن - وهذه الملاحظة لكل أصدقائى القراء - تعلمت من خلال هذا الباب، أن الإنسان - رجلاً أو امرأة - عندما لا يتخذ قراره الحاسم فى اللحظة التى يجب أن يتخذه فيها، ويبحث عن رأى وصوت آخر يناقشه فيما يجب عليه فعله، فهذا يعنى أنه لديه رغبة فى قرار آخر، عكس ما هو سائد، هو أو هى يريد التجاوز.والتسامح، فهل يجب على أو عليكم أن نقول له: لا تسامح، خذ قرارك بناء على طريقة تفكيرنا وطلقها فورًا، أو اتركى له البيت.

سيدى. قبل أن أناقش مشكلتك، أريد فقط لفت الانتباه إلى أنى آثرت نشر هذه الرسالة، لأنى اكتشفت أن هذا النوع من الخيانة متكرر، وإن تشككت فى أسلوب الكشف عنه حتى سألت صديقى خبير الكمبيوتر حسام صالح، فأكد لى أن هذا النوع من البرامج أصبح شائعًا، وأن من تظن أو يظن نفسه آمنًا فى مثل هذه العلاقات موهوم، فقد يكون الملايين فى العالم يشاهدونه فى نفس اللحظة.

إن الاستخدام الخاطئ لهذه التكنولوجيا، يحولها إلى شيطان مقيم، يخترق الأسوار والحدود، ويصل إلى المضاجع كما يصل إلى النفوس المريضة.

سيدى.. أنت تعرف جيِّدا مقدار تقصيرك وهروبك من منح زوجتك حقوقها مستندًا إلى ابتعادها عنك، هذا الابتعاد ربما هو الذى دفعها للبحث عن اكتفاء ذاتى، قد تكون أدمنته قبل الزواج، فجعلها تستغنى عنك، أو تشعر بإهانة تجاهلك، وأكرر أن هذا ليس مبررًا للخيانة، ولكنها حدثت، وكشفت عن أن زوجتك فى حاجة إلى طبيب نفسى، وسأميل فى رأيى إلى رغبتك فى العفو والسماح، راجيًا من الله أن تتوب زوجتك توبة حقيقية بعد أن تواجهها بما عرفت، على أن تغير أنت الآخر من نفسك وتزيد من وجودك وقربك منها، ويكون قرارك خالصًا لوجه الله تعالى الذى قال فى كتابه الحكيم ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ «التوبة: 104» كما استعين هنا بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ذهبت إليه الغامدية تعترف بزناها قائلة: طهرني فقال: «**ويحك... ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه**». وإلى لقاء بإذن الله .

أمي.. في يوم الرحيل

لا أكتب لك كى أشكو إليك من شيء ولا طلبًا لرأى فى موضوع معين ولكن لأضع تاجًا على جبين كل أم فى وطننا العربى الكبير.

أكتب اليك بعد وفاة أمى بعدة أيام. وبالتحديد ليلة عيد الأم. فأنا شاب نشأ فى أسرة متوسطة، وتوفى والدى وأنا فى المرحلة الإعدادية ثم تولت أمى رعايتنا بكل ما استطاعت من قوة وصبر وعقل وحنان لا يوازيه حنان فى الكون، لدرجة أننا كنا أحيانا نضجر أو نغضب من فرط هذه الحنية الجميلة حتى استطعنا بعون الله ومساعدة وحكمة هذه الأم التى لم تحصل على أى شهادة، سوى أنها تستطيع أن تقرأ وتكتب أن تخرجنا جميعًا فى كليات كبيرة من كليات القمة، وبفضل دعواتها التى لم تنقطع يومًا التحقنا بأعمال جديدة ووظائف أو مراكز مرموقة لم نكن نحلم بها. وقد تزوج إخوتى والحمد لله ولم يتبق سواى والحمد لله أنا قادر على الزواج. ولكنى أكتب الآن لأضع هذه القصة أمام كل ابن له أم، سواء كان عاقًا أو كان بارًا، ليعلم أن بيده كنزًا أكبر من كنوز العالم كله يجب أن يحافظ عليه، لأنه فى لحظة واحدة يمكن أن يجده بين

يديه، وبدون أية مقدمات ودون سابق إنذار يمكن أن يجد هـذا النهـر الكبير من الحب والعطاء قد انتهى.

فقد كانت والدتى رحمها الله مثالاً للكثير جدًّا من أمهاتنا الحبيبـات، مثالاً فى الحب والعطاء. كانت مريضة بعدة أمراض منذ أكثر من خمـسة وعشرين عامًا، ولكنى لم أرها يوما تشتكى، ولم أرها منذ ولادتى تشكو لأحد من النـاس ولا تقـول إلاّ الحمـد لله، ولا تـشكو إلاّ لله ولم يَقِـلَّ عطاؤها يومًا واحدًا حتـى فى أشـد لحظـات مرضـها وضـعفها كانـت تعطى وتعطى. كنت أجدها فى آخر عـامين أو ثلاثـة والحمـد لله قويـة وقد خف عنها المرض بعض الشيء. كنـت أقـوم فى الـسادسة صـباحًا لأذهب لعملى، فأجدها مستيقظة منذ صلاة الفجر تصلى وتقرأ القـرآن حتى أستيقظ، فتعد لى الإفطـار والـشاى، بـل وحقيبتـى التـى سـوف آخذها معى للعمل، ثم تبدأ فى القيام بأعمال المنزل رغم مرضها وسنها الكبيرة. حتى نعود وتطمئن علينا جميعًا حتى المتزوجين منا، وإن تـأخر أحد منا لا تنام حتى يرجع وتخدمه ليلاً حتى فى أشد لحظات مرضـها، لأنها سبحان الله كانت تستمتع بذلك. حتى فى يـوم رحيلهـا انتظرتنـى حتى أعود من العمل وأعدت لى الغداء، وجلـست تحكـى معـى أثنـاء غدائى ثم دخلت لأنام قليلاً واستيقظت بعد نصف ساعة على مفاجـأة موتها وهى واقفة فى المطبخ وقعت وماتت، كما كانـت دعوتهـا وطلبهـا من الله دائمًا أن تموت وهى واقفة، ولا تحتاج إلى أحد. أتصدق يا سيدى

أنها بعد كل هذا العطاء وبعد كل هـذا العمـر لم تكـن تريـد مـن أحـد ولا حتى من أبنائها أن يردوا لها أى جزء من عطائهـا. ماتـت وتركـت كل من يعرفها من أبناء وأقرباء وجيران، وكل من يعرفها من قريب أو بعيد، وهو حزين عليها ويدعو لها بالرحمة، ويحسون بأنهم افتقدوا جزءًا عزيزًا منهم. نعم يا سيدى لم يعرفها أحد فى الدنيا قريبًا أو غريبًا، مسلمًا أو مسيحيًا إلاّ وكان يكن لها كل الحـب والاحـترام، بـسبب معاملتهـا الطيبة وحنيتها الكبيرة على الكبير والصغير. وقبل موتها وقبل عيد الأم بيومين أحببت أن أعطيها مبلغًا صغيرًا من المال، لتشترى به هدية عيـد الأم واعتذرت لها أن عملى يأخذ كـل وقتـى، ولأنـى لا أجيـد الـشراء ولا أستطيع أن أشتريها بنفسى، وبكل الحب والحنان قالت إنها لا تريد إلاّ سلامتنا ولا تريد شيئًا آخر. وفى اليوم التالى ماتـت، ماتـت قبـل أن نستطيع أن نرد لها أى شيء من حقهـا علينـا، وقبـل أن نـسعدها مـثلما أسعدتنا، ماتت قبل أن تشترى شيئًا فى عيد الأم وقبـل أن أشـتريه أنـا، وفى عيد الأم بدلاً من أن أشترى لها هدية اشتريت لها كفنها. وسـبحان الله فى أشهرها الأخيرة كنت دائم الإحساس، بأنها ستفارقنا قريبًـا وأن أيامها معدودة ولم أعرف السبب كنت أخاف جدًا من هذا الإحـساس المرير. والحمد لله إننى حتى وإن أغضبتها كثيرًا بجهلى، أو بدون قـصد أو لسوء عقلى يومًا لم أكن أستطيع أن أنام قبـل أن أصـالحها وأحـضنها وأقبل يدها. الحمد لله هى أدت فرائضها جميعًا واختتمتها بأداء فريـضة

الحج، وقبل موتها بساعة واحدة كانت قد أدت صلاة العصر، ولا أتذكر أنها تركت صلاة الفجر أو قيام الليل وقراءة القرآن مرة واحدة من سنوات والحمد لله ، أدت رسالتها فى الحياة على أكمل وجه.

أكتب اليوم لأضع هذه الصورة أمام كل ابن يستطيع أن يسعد والديه بأى شيء، ألاّ يتأخر ولا يؤجل ذلك فربما لا ينتظره الوقت. وإلى كل ابن عاق يرضى زوجته أو دنياه على حساب أمه أو أبيه، بأن يراجع نفسه وأن يذهب فيقبل أيديهما ويطلب منهما الصفح والمغفرة قبل أن يجد نفسه وحيدًا، حتى وإن كان حوله كل الناس، لأنهما القلب الوحيد الذى يعطى ولا يأخذ يعطى ولا ينتظر الجزاء أو الشكر. يعطى لأن عطاءه هو كل غايته فى الحياة.

أدعو كل ابن يستطيع أن يجلس مع أمه أو أبيه قدر ما يستطيع، وألا يحرمهم ويحرم نفسه من ذلك فمن الممكن ألاَّ يستطيع أن يشترى لقاءهما بعد ذلك بكل ملايين الدنيا.

وفى النهاية أكتب أيضًا لأطلب من كل قرائك أن يقرأوا لها ولوالدى ولأموات المسلمين الفاتحة، وأن يدعوا لهما بالمغفرة ومن يستطيع منهم أن يقرأ لها أى شىء من القرآن فأجره عند الله، فأنا أدعو لها وأقرأ لها القرآن بقدر ما أستطيع وليس بقدر ما تستحق.

ولأنه ربـما يـستجاب مـن أحـد قرائـك لم يرهـا ولم يعرفهـا يومًـا، ولا يستجاب منِّي أنا أو من أقرب الناس إليها، وأخـيرًا لله مـا أعطـى ولله ما أخذ والحمد لله رب العالمين.

م.م. ق

مكافأة السماء

فى زمن غريب ولدت طبيبًا، وفى مستشفى عج بالفساد مارست المهنة، وبحادث عجيب ولدت بطلاً، وبأسلوب رهيب صرت متهمًا، وبقوة خالق الخلائق الرقيب الحسيب المجيب بزغت براءتى لتنير لى الطريق ولأسرتى، أخرجنا الله من الظلمات إلى النور بعد أن أصبح الخير شرًا، والطيبة فجورًا، فغابت البهجة وانطفأ السرور يوم أصبح الطب تجارة، والتجارة شطارة، أحقًا ذهب الأطباء الشرفاء إلى المقابر أم ما هى العبارة؟!

قرأت رسالة الطفلة هدى التى بعثت بها طبيبة فاضلة وتنقلت بين كلماتها كلمة، بعد كلمة فانتابنى حزن بعد حزن، وانقبض صدرى وشعرت بمرارة فى حلقى، عندما وقعت عيناى على الجملة التى رد فيها الأطباء على الأم أنه من الأفضل ألاّ تجرى لها العملية وأن تموت بالمنزل، بدلاً من أن تموت أثناء العملية، وقبلها بأيام سمعت فى برنامج تليفزيونى شهير عن الرجل المسن المريض الذى سخر منه الأطباء وقالوا له اذهب يارجل ومت فى بيتك لا فائدة من العلاج، ولم يمدوا

له أيديهم، وعن آخر فى الجريدة وافته المنية على كرسى متحرك بمستشفى ما، فما كان من أحد حراس الأمن إلاّ أن ألقى به على قارعة الطريق ليفرغ الكرسى، وعايشت أنا بنفسى أطباء بالمستشفى محل عملى يشخصون الحالات حسب أهوائهم، عمدًا لخدمة أغراضهم بغية إجراء العمليات فادحة التكاليف فى عياداتهم الخاصة، وغيرها وغيرها وغيرها من الحالات الشاذة والغريبة.

أهذا حقًّا يحدث فى مصر أم أننى فى بلد آخر؟ أم أن أرواح البشر أصبحت بلا ثمن أو قيمة؟!!

سيدى. فى لحظة فارقة فى حياتى أكون فيها أنا المريض، وأنصبك أنت طبيبًا، شخِّص دائى إن كان داء، وصف لى الدواء.

أنا طبيب استشارى أمراض نساء وتوليد، أبلغ من العمر ثلاثة وستين عامًا، مرت بى السنون بعد تخرجى فى كلية الطب جامعة عين شمس مرورًا روتينيًا، فيها تزوجت من زوجة صالحة أنجبت لى من البنين أربعة ومن البنات ثلاثًا. عشنا أيامًا كريمة شريفة، لم أستغل فيها مهنتى يومًا من الأيام، لم أستغل مريضًا ولم أرد معتلاً. تساهلت مع مرضى كثر، أشعر بالفقير وأحاول مساعدته قدر المستطاع، ولا آخذ من الغنى أكثر من أجرى، ظللت اثنين وعشرين عامًا أتعامل مع المرضى بهذه الفلسفة الأخروية، فأنا أعامل الله قبل كل شىء إلى أن

حدث ما لم يكن فى الحسبان. فى يوم عصيب عصيب لن أنساه اتصلت بى تلميذتى بالمستشفى، بعد انتهاء فترة العمل الصباحية وانصراف الاطباء والعاملين تأخذ رأيى فى إعطاء مريضة فى المستشفى قرص «سيتوتيك» بغرض زيادة طلق الحمل، عنفتها وحذرتها تحذيرًا رادعًا أن القرص يمثل خطرًا داهمًا على حياة الأم والجنين، وهو أساسًا يستخدم فى علاج قرحة المعدة، كما أن الأم لم تكن على ولادة، لكن يبدو أن الطبيبة ظنت أننى أمازحها فعصت أوامرى ولم تنته بما نهيتها عنه فأعطتها القرص ووقعت الفاجعة. أفزع صراخ وتأوه الأم الطبيبة، فاستنجدت بى طالبة العون ولم أتأخر هرعت إلى مسرح الأحداث، فوجدته بأسره داميًا، والأحداث فيه بلغت مبلغها، الطبيبة وفى يدها مولود متوفى تندب حظها العثر وتبكى بحرقة، ومدير المستشفى الذى كان هو نفسه طبيب التخدير يقف بلا حراك، والمرضون والمرضات يتمتمون ويهمهمون وأيضًا يشاهدون لكن لم يحركوا ساكنًا. لم تكن النوبتجية نوبتجيتى برغم ذلك تدخلت، كان لى أن أقول وأنا مالى وأتبع السياسة السائدة فى كل مكان، لاسيما فى مستشفيات مصر، وأترك الأم تواجه قدرها بنفسها، ولا أخفيك سرًا أن منظر الدماء وهى تتهاطل من رحم الأم كان جديرًا بأن يخيف من لا يخاف، لكنى لم أفعل إلاّ ما اعتدت، فمواقفى البطولية مشهودة ولا أحد يستطيع إنكارها. تدخلت بحسن نية وصفاء بالغين، فأنا أعامل الله وفعلت

ما بوسعى لإنقاذ روح بشرية بريئة. لم أتمكن من الوصول إلى ذاك الشريان الفياض المسئول عن ضخ تلك الدماء الغزيزة، ولم أجد بدًا من إجراء عملية استئصال لرحم الأم كى يتوقف النزيف وتعيش، وهذا ما حدث بالفعل بعد تدخل العناية الإلهية. فهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان؟ سؤال لا محل له من الإعراب هنا، أتدرى ماذا حدث بعد ذلك؟

سيدى، حاولت إنقاذ أسرة وروح بريئة وفعلت. فهل تتخيل أن توجه لى كل التهم فى تحقيقات الحادث، وأصبح أنا المدان الوحيد؟ نعم تكاتف علىّ الجميع وعقدوا النية على رد الجميل لى. زوج المجنى عليها أكد أننى أنقذت حياة زوجته دون أن آخذ موافقته، والمجنى عليها قالت إننى أنا هو من بدأ العملية وأنهاها، والممرضات أكدن أننى تأخرت وجئت فى نهاية العملية، مما تسبب فى تدهور الحالة تضاربات وتناقضات واضحة فى أقوال الشهود، لكن كلها أكدها المدير وأقر بصحتها وكنت آخر من علم بها. اكتملت المهزلة بإتيان المدير بشاهد لم يكن من بين الحضور وأقر بأننى تأخرت. ذاك الشاهد الزائف قال إنه هو من خدر الحالة وبالأوراق الرسمية تأكد مرافقته لحالة اسعافية وقت العملية، كيف تمكن ذلك العظيم من تخدير حالة ومرافقة حالة إسعافية أخرى فى آن واحد؟! وعجبى جرت الأم وحررت المحاضر التى آلت إلى قضية هى الأغرب فى تاريخ القضاء المصرى، فيها أطلق

العنان للجناة الحقيقيين وصار البطل فيها متهمًا. رضيت ولم يكن لى غير الرضا تمر الأيام وأقول غدًا يظهر الحق. يساومنى أهل المجنى عليها على دفع مبلغ طائل من المال، ويقولون لى جهرًا نحن نعلم أنك برئ لكن لابد من القضية، من فريسة، أنا أرفض دفع ثمن ذنب لم أقترفه. مرت الأشهر وتوالت الجلسات فى المحكمة الجزئية ثم الاستئناف، عانيت معها ويلات المحامين والمشاوير والقضاة والأوراق، بينما الجناة ينعمون غير آبهين بما يحدث لى من تعذيب وإرهاق جراء ما فعلوا. حاولت أن أنفذ أسرة وحاولوا هم هدم أسرتى وتدمير مستقبل أولادى، ناهيك عن الشائعات المغرضة والقيل والقال والأقاويل والأقوال. مرت الأيام وتوقفت عجلتها عند يوم حاسم، لم أشهد مثله منذ زمن مضى، يوم فيه تخلى عنِّى القريب قبل الغريب، والصديق قبل العدو، وما زاد على ذلك أن المحامى الموكل، على الله توكل، وتركنى وحيًّدا فى جلسة النطق بالحكم، الجلسة النهائية، ويالكرمه أشفق على حالى فأناب عنه ثلاثة جهابذة لايعرفون شيئًا عن القضية. لم يقف لى سوى عملى الصالح وحب الناس ودعائهم لى، فحفظت القضية للحكم. تقربت إلى الله وأنبته فى الدفاع عنِّى وقدمت الأوراق والمستندات التى تثبت براءتى، إلى أن جاء يوم النطق بالحكم ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً وحدثت المعجزة وحكم لى بالبراءة. بقى أن تعرف أن الله اسمه المنتقم الجبار، فمنذ أيام قلائل

أوقف المدير عن العمل، لاختلاسه مبالغ طائلة من أموال المستشفى، أما الطبيبة التى ورطتنى فبترت أصابع يدها فى حادث سيارة مروع، وأمد الله لها فى العمر ليريها ما رأيت من عذاب وليس ذلك على الله بعزيز.

سيدى، رد إلى شيئًا من كرامتى التى جرحت وكبريائى التى طعنت، اقتص لى ممن ظلمنى واسمح لى من خلال بابكم المشع أن أناشد أولادى الأطباء فى شتى مستشفيات مصر، فى شرقها وغربها شمالها وجنوبها: أوقفوا تنفيذ عبارة وأنا مالى احترموا الروح الإنسانية وقدروها، ازرعوا الأمل فى قلوب المرضى ولا تنزعوه أبدًا، ساعدوا فقراءهم ومدوا أيديكم لهم، لا تتأخروا عن إنقاذ إنسان وتذكروا قراء هذه الصفحة الغالية، أنه كان هناك فى يوم من الأيام ابن بار من ابناء مصر، تدخل وأنقذ روحًا إنسانية بريئة، فأهين وجرح وذاق الأمرين وكافأه الله فى النهاية وبرأه مما صارت تهمة فى زمننا هذا، اسمها إنقاذ مع سبق الإصرار والترصد.

دكتور/ على محمد
طبيب استشارى أمراض نساء وتوليد
بالمعاش.

* * *

سيدى: ها أنا أنشر رسالتك، لعل هذا يعيد اليك اعتبارك وثقتك فيمن حولك، ويؤكد لك أن فى مصر نماذج أخرى كثيرة من الأطباء، مثلك، يؤدون رسالتهم بشرف فالنماذج السيئة هى التى تجذب بعض الصحف، ونغفل كثيرًا عن وجوه مضيئة، تمنح وتعطى وتضحى ابتغاء مرضاة الله، وأنتهزها فرصة لتصحيح بعض ما نشر فى الصحف واستندت إليه، لإزالة بعض البقع السوداء التى انتشرت فى أيامنا هذه، فلم يثبت أن الممرض ألقى ميتًا من على كرسى ليتخلص منه، وهذه، حكاية بعيدة عن المنطق والإنسانية، نعم تحدث أشياء أكثر فجاجة وقسوة، ولكن لا أتخيل أبدًا أن إنسانًا يلقى ميتًا هكذا، قد يفعلها مع حى بقلب ميت.

أما واقعة الطفلة هدى فقد تأخرت فى توضيح لابد منه - بسبب ظروف المساحة - أساءت رسالة الطبيبة التى وصلتنى ولم أعرفها حتى الآن الى مستشفى أبوالريش للأطفال، وأسأت أنا الآخر بتأخرى فى نشر الحقيقة، فقد زارنى مجموعة من طبيبات وأطباء مستشفى أبوالريش، بأوراقهم الرسمية ومستنداتهم، وتأكدت أن هدى كانت على قوائم الانتظار، وأنهم لم يتوانوا أو يتهاونوا فى علاجها، بل أسعدنى هذا الفيض الإنسانى لطبيبات هذا المستشفى، طبيبات مثل الورود، يقضين حياتهن بين المرضى، يدفعن من جيوبهن، يزرن أهالى المرضى فى بيوتهن ويعاونهن أطباء وهبوا حياتهم للتخفيف عن المرضى

الصغار. هذا يا سيدى وجه آخر لما عانيته، أقدر كثيرًا إحساسك بالظلم ولكن ما يمنحنا الثقة، أن عدالة الله أعلى من ظلم كل البشر، وها أنت بنفسك ترصد لنا انتقام الجبار ممن ظلموك وافتروا عليك ـ عفا الله عنهم وهداهم ـ فهل هناك رسالة لأبنائك الأطباء أسمى من رسالة الخالق سبحانه وتعالى. أعانك الله على التخلص من أى إحساس بالمرارة، وأشكرك على المعانى والقيم الطيبة التى جاءت فى رسالتك.

وإلى لقاء بإذن الله.

أنا وحماتي

أتابع منذ فترة طويلة جدًّا بريد الجمعة، وتواصلت معه أحيانًا، وأرسلت ونشر لى منذ أعوام طويلة، ومنذ فترة قريبة أيضًا أتابعه، وأوافق أو أرفض بعض الآراء. ولكن اسمح لى ببعض الكلمات، ربما تهم أحدًا أو ترشد إلى الطريق المنشود لنا جميعا وهو السعادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة بإذن الله.

سيدى: القصة بسيطة، جدًّا، التربية هى الأساس، التربية الدينية والأب والأم القدوة، بعيدًا عن الجحود والعقوق.. أنا زوجة فى الخمسين من عمرى، تزوجته منذ25 عامًا، ولا أذكر سوى هذه الأعوام الجميلة التى عشتها مع زوجى أكرمه الله وحفظه لى ولأولادنا، وحولنا أسرته الجميلة الرائعة، من أم، وإخوة وأخوات تزوجوا جميعًا الآن وانجبوا، فأنا زوجة الكبير. وأمهم الثانية، كما يقولون، وهناك عائلتى الجميلة أيضًا حولنا من بعيد فهم أبعد مسافة فى السكن فقط. والجميع ينتظرون فقط إشارة التجمع فى بيتى البسيط، ليجتمعوا فى أية مناسبة نخلقها ونسعد بها، ونتبارى فى المرح والتفانى فى خدمة الآخر،

والمشاركة الجميلة بالرأى والنصيحة والظن الحسن كل بالآخر، والجميع يباركه ويحتويه، يد أحن من فى الوجود أمى وأم زوجى أجمل الأمهات فى العالم، لن أشكر فى أمى، فأنا أحبها بالفطرة وهى قدوتى وحنان العالم كله أخذته منها، ولكن أنا الآن أريد أن أعطى أمى الثانية حقها، أم زوجى، أجمل وأرق من فى الوجود.. نبع الحنان كله.. أريد أن أشكرها، أولاً على زوجى الرائع، وعلى تربيتها الجميلة له، فهى من زرع فيه الرحمة والإحساس بالآخر ومراعاة الله فى كل شىء، وهى من علمته التواضع ومساعدة الجميع والإخلاص والتفانى فى خدمة الناس، وفى العمل، وهى من زرع فيه الطموح والجلد والإصرار على النجاح، وهى من احتوتنى بحنانها عند زواجى ولم تحاول التدخل أبدًا أبدًا فى أى شيء يخص حياتنا أنا وابنها، كان لها المراقبة من بعيد إن أردنا رأيها قالته وإن لم نرد صمتت.. أرأيت أمًّا أجمل من هذه؟ طبعا لا.

ويومًا بعد يوم تواصلنا، وتفاهمنا، وأصبحنا متفقتين دون عقد على أن هدفنا إسعاد هذا الرجل، زوجى، ومساعدته فى تحمل مسئولية إخوته، وقد كانوا صغارًا فى مراحل التعليم والوالد متوفى، إذن فالهدف واحد، هدفنا واحد، وهدفنا جميل، فلنعمل على ذلك كل فى دائرته وبطريقته دون المساس بالآخر، ودون إزعاج هذا الرجل الذى نستند عليه كلنا، وقد كان. شاركتنا هذه الأم الجميلة فى تربية الأولاد، وشاركتها أنا فى متابعة أولادها وأصبحوا أبنائى مثلها تمامًا، وزرعت

البذور كلها، بذور الحب، السعادة، التفاهم، الرحمة، والتفانى، ونسيت!!. ومرت السنوات وأنا الآن أحصد، وما أجمله من حصاد، الترابط، الحب العائلة، كلمات معناها جميل وتسعد من يحسها ويشعر بها. التف الجميع حولى بحب الأم بالدعوات، الأبناء وزوجاتهم وأزواجهم بالحب والاستعداد لتلبية أى طلب لى، والتفانى فى ذلك والالتفاف حول أولادى، بحب ومشاركتهم مشاكلهم وهواياتهم، وفرحهم ونجاحهم وكل شيء، والسؤال عنهم طوال الوقت بحب. هذه الأم هى أساس هذه العائلة الجميلة، بما زرعته وعلمته لهم وقدرت لها هذا وأحببته فيها، وأرتبط بها مثل أمى التى ولدتنى. أنا أشكرها، وأقبلها وأدعو لها بالصحة وطول العمر، حتى ترى أولاد أولادى وتربيهم أيضًا وليباركها الله ويجازيها الخير عن عملها وعنا جميعًا. ولكل زوجة أقول، لا تتسرعى فى سوء فهم والدة زوجك، فهى سبب وجوده وهو هديتها لك فاقبلى الهدية واشكرى من أهداها لك، وادعى لها وازرعى الحب والفهم وحسن الظن، ولا تتسرعى فى جنى الحصاد، انسى ما زرعته، واعلمى أن الله سبحانه وتعالى سيكافئك وسوف تثابين فى الجنة بإذن الله، تحصدين أجمل حصاد فى الدنيا والآخرة.

* * *

سيدتى : أشكرك لأنك أرحتنى وأرحت أصدقاء بريد الجمعة هذا الأسبوع، من وجع القلب بسبب المشكلات المؤلمة، قبل رسالتك مباشرة، كانت بين يدى رسالة قاسية من ابن عاق، استفزتنى بشدة فنحيتها جانبًا، والتفت إلى رسالتك، فأزالت عنى غضبى، وأضاءت نافذة للتفاؤل، وسط ركام الإحباطات الذى يحيط بنا من كل صوب.

عندما تصلنى رسالة من زوجة ويكون الطرف الآخر هو الحماة، أتحسس رأسى، ولكنك ـ لحسن طالعى ـ خيبت ظنى، وقدمت لنا قصة بسيطة وسهلة للسعادة. إنها المحبة ـ يا سيدتى ـ القادرة على احتواء أى أزمات تواجهنا فى الحياة. فالقادر على الحب، قادر على التجاوز والتفاهم، واستيعاب الآخرين، وكم من أزمة تواجهنا، ونفشل فى حلها، لأننا لم نتحرك من أرضية الحب، وإنما ننطلق من ميادين الغضب والتصيد.

إن الذين يكرهون، يحرقون قلوبهم، ويغتالون السعادة بين أياديهم، لو استثمروها لجنوا فدادين من المودة والرحمة.. ولو كل زوجة مثلك تذكرت أن والدة زوجها، هى التى احتوتها ورحبت بها زوجة لابنها، وأنه لولاها ما كانت أمًّا، ولو نظرت إليها كأمها وتغافلت عن بعض التصرفات غير المرضية، والتى قد تكون نتيجة لغيرة الأم أو لكبر سنها، لمرت سفينة الأيام بهدوء فى بحر الحياة العاصف، والذى لا يحتاج منا أن نعكر صفوه ونربك أمواجه أكثر مما هى مرتبكة.

سيدتى: بقدر ما تستحقين التحية، تستحق والدة زوجك العظيمة ووالدتك كل تحية واحترام، على هذا الوعى الكبير، وكذلك زوجك الذى نجح فى الجمع بينكما، ولم يدع فرصة للشيطان لكى يعبث بعقليكما. أدام الله سعادتكم وهناءكم. وإلى لقاء بإذن الله.

العلاقة النادرة

قرأت رسالة أنا وحماتى، عن العلاقة الجميلة التى بين زوجة الابن وحماتها، وكيف أن هذه العلاقة الرائعة النادرة كانت سببًا فى انتشار الحب والسعادة بين جميع أفراد العائلة، وإذا كان قراء هذا الباب قد شعروا بالاستغراب والدهشة من هذه العلاقة النادرة، فما بالك ياسيدى إذا كانت هذه العلاقة الرائعة نفسها توجد بينى وبين أم طليقى، بل وبينى وبين جميع أفراد عائلة طليقى، نعم أم طليقى. فهى أم رائعة غاية فى الحنان، تعرف الحق وتنحاز له حتى لو كان على حساب ابنها الوحيد نور عينيها الذى كان زوجى يومًا ما.

أنا اليوم أكتب إليك ليس لأحكى عن تفاصيل طلاقى، ومدى ظلم طليقى لى ولأولادى، وحرمانهم منه وتركه المسئولية الكاملة لى دون أدنى تفكير فى مصلحة أولاده، ومستقبلهم وبمنتهى الاستهتار، ولكن أردت أن أحكى تفاصيل علاقتى بأهل طليقى، وبالأخص والدته، فهى علاقة نادرة الحدوث، علاقة رائعة مليئة بالحب والمودة والاحترام والذكريات الجميلة. فأنا مدعوة دائمًا فى كل مناسباتهم أو الأعياد وأول

يوم رمضان، ولا أتذكر يومًا أننى تخلفت عن حضور إحدى هذه المناسبات، فأنا أحبهم جميعًا من كل قلبى، وأحافظ دائمًا على صلة الرحم بينى أنا وأولادى وبينهم. نعم صلة الرحم برغم أنهم ليسوا أقارب لى، ولكنى أعتبرهم جميعًا أهلى وعائلتى الثانية. فعندما يحزن والدى من أجلى وتتألم والدتى لوحدتى، ويبكى أخى عندما يعلم ما فعله طليقى بى، وكذلك عندما تتأثر أختى بكل ما حدث لى وكأنها هى التى ظلمت، فكل هذا ياسيدى شئ طبيعى، ولكن أن يحدث كل هذا من عائلة طليقى بالكامل فهذا شيء أحسد عليه. فى الحقيقة نحن جميعًا نحافظ على هذه العلاقة سواء من جانبى أو من جانب أهل طليقى، فى البداية وبعد طلاقى مباشرة منذ نحو تسعة أعوام، كنت أعانى من انهيار تام وفقد ثقة فى كل من حولى، ومعاناة شديدة من قسوة الوحدة ورعب من ضخامة مسئولية أولادي

وقد كنت وقتها فى التاسعة والعشرين من عمرى، لكن بفضل الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم من بعد ذلك مساندة أهلى وأهل طليقى جميعًا لى وبالأخص والدته وإخوته فهم جميعًا يحبوننى ويرحبون بى فى كل وقت، فذلك كان سببًا رئيسيًا لاستعادتى نفسى وثقتى بالناس، وتقبل الأمر الواقع ومواصلة الحياة. يقولون عنى إننى ذات شخصية قوية، ولكنى ياسيدى أدعى ذلك، فأنا فى الحقيقة شخصية ضعيفة جدًّا وهشة، وأتأثر من أبسط الأشياء، ودائمة الخوف والقلق من المستقبل،

فما حدث لى بسبب طليقى أفقدنى توازنى وإحساسى بالأمان. ولكن الله مَنَّ على بهذه العائلة الجميلة وحبهم جميعًا لى ولأولادى، خصوصًا والدة طليقى، فهى أمى الغالية التى أجد راحة كبيرة فى التحدث معها، فهى أكثر إنسانة تفهمنى وتحس بى، لدرجة أنها تقول لى عن شعورها بأنها هى التى ظلمت من ابنها وليس أنا، وأشعر بحزن شديد من أجلها، كلما وجدتها تقسو على ابنها(طليقي)، بسبب ما فعله معى ومع أولادى، بل أحيانًا أجد نفسى أحاول أن أهدئ العلاقة بينها وبين طليقى، فأنا أعلم جيدًّا برغم كل ما حدث، أنها أمه التى تحبه من كل قلبها، وفى الوقت نفسه دائمًا مستاءة من أفعاله. فقط أردت أن أبعث إلى هذه الأم الرائعة عن طريق بريدكم المفضل لدينا جميعًا، كل الشكر والحب والدعوات بدوام الصحة وطول العمر، وبأن تظلى دائمًا بيننا بخفة دمك وتعليقاتك الجميلة، وحبك الكبير لأولادك وأحفادك. خصوصًا لى ولأولادى.

وأقول: لا تحزنى يا أمى على ما حدث وارحمى نفسك، فصحتك لا تحتمل كل هذا العناء والتفكير، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، ولأخوات طليقى أقول لهم جميعًا جزاكم الله عنىِّ وعن أولادى خيرًا، فأنتم دائمًا خير عون لى. ولطليقى الذى كان زوجى وحبيبى يومًا ما أقول له: برغم كل ما سببته لى من ظلم وغدر وجرح كبير، فإنى أدعو الله أن يهديك، ليس رغبة فيك وإنما من أجل والدتك الغالية،

ومن أجل أولادك، فهم لا يستحقون منك كل هذه القسوة والاستهتار. ولك ياسيدى أقول: ربما يومًا ما أستطيع أن أكتب لك تفاصيل ما فعله طليقى بى وبأولادى، وما وصل هو إليه الآن من عدم استقرار وتخبط فى الحياة، عسى أن يتعظ كل من يفكر فى أن يظلم زوجته وأولاده ويتركهم جريًا وراء متع زائفة لا تدوم.

* * *

سيدتى : كم نحن فى حاجة إلى كثير من هذه العلاقة النادرة الرائعة، علاقة تحكمها المودة والتراحم والتواصل بين الناس، علاقة تمنحنا بعض السعادة ونحن غرقى فى بحار الألم، فكثير من العائلات تنصر ابنها - فى مثل حالتك - وتقسو على الطرف الآخر، فتجرح القلوب المظلومة، وتعلم الأبناء أول دروس الكراهية، ولكن جدة أطفالك وأبناءها، كانوا بلسمًا للروح، وغرسوا فى نفوس أبنائك غرسًا أخضر قادرًا على مقاومة الأشواك التى زرعها والدهم.

لا أعرف ياسيدتى كيف ينام الإنسان وهو ظالم لأقرب الناس إليه؟ ولا أفهم كيف لمثل زوجك وهو يرى إدانته فيما فعل معك فى تصرفات ومعاملة أسرته لك؟ ألم يراجع نفسه؟ بعض الرجال تغويهم الدنيا، فيغترون بما يمتلكون من قدرة مالية أو صحية، ومن حقوق وهبها الله لهم، فيستغلون كل ذلك بصورة خاطئة، وهم غافلون عن أن الانتقام -

بصور مختلفة ـ قادم لا محالة، وأنهم لن يجدوا أقرب الناس إليهم فى وقت هم أحوج إلى كلمة أو طبطبة حانية صادقة منهم، سيجدون اللوم والعتاب مثل السكين الحاسم المنغرس فى قلب منهك ظالم.

سيدتى: لا أقصد أن أقول جملاً إنشائية، ولكنها الحقيقة التى تضج بها الرسائل فى مكتبى من آباء نادمين، أو أبناء غاضبين، وأجد حرجًا فى نشرها. رسالتك التى جاءت فى تلك الأيام المباركة، دعوة للمراجعة، للمسامحة، للعودة إلى حضن العائلة، للآباء الذين أعمتهم الدنيا، أو ظلموا أبناءهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا، لعلنا جميعًا ننتهزها فرصة للتطهر ولم الشمل.

شكرى لهذه الأم العظيمة وأبنائها الذين جعلوك تكتبين هذه الرسائل الجميلة، وكل عام وأنتم بخير وسعادة ومحبة ورحمة، وإلى لقاء بإذن الله.



خـيـرى رمضـان

لايحاول المؤلف فى هذا الكم من التجارب الإنسانية التماس العذر لمواطن السقوط أو الضعف البشرى .. قدر مايحاول أن يبين أمرين فى غاية الأهمية .. أولهما تلك الضربات المتلاحقة والمؤثرة التى تعرض لها المجتمع العربى .. فأحدثت خللاً رهيبًا فى ثوابته وقيمه وأنماط سلوكه .. وثانيهما أن المكاشفة والشفافية فى معالجة مشكلات المجتمع أفضل ألف مرة من النضال المستميت فى محاولة تخبئة أو إخفاء ماتعانيه من مشكلات وظواهر غير مرغوب فيها .. وتأتى " نوافذ الاشتهاء" فرصة لإلقاء ضوء وافٍ على هذه المشكلات فيحلل دوافعها وأسبابها وكيفية إيجاد حلول لها..

الرسم والتصميم : محمد حجى

الدار المصرية اللبنانية